الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 02، 2020 | القسم (ج) الآداب و الفلسفة، ص،ص: 280 - 299

قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

البعد النقدي في الخطاب الحجاجي الفلسفي

The critical Dimension in Philosophical Argumentative Discourse

هارون غنيمة [1] *
[1] جامعة حسيبة بن بوعلي، شلف، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية – الجزائر

Key words:
Argumentation,
criticism,
logic,
truth,
inaccuracy,
dialogue.

Abstract

The theory of argumentation as a science meant, the explicit and even implicit discourse that aims to convince or persuade anything the interlocutor of this discourse and with any methodology followed, its objective is not accuracy and credibility but impact and acceptability, for this reason, the art of argumentation has been criticized in terms of knowledge acquisition. But in reality, precisely, the philosophical argumentative does not only make the art of argumentation to convince others but also the practice and implementation of analytical methodologies on the path to truths.

This is what we want to make clear in this research, that argumentation It is not a simple practice as many people consider it, but it is a mastery and critical practice in order to establish a system and new knowledge that does not allow it to accredit or exclude except in the context of critical practice, The criterion for evaluating a speech is not its effectiveness and relevance but on the source of the argument and its type in addition to the rhetorical style at the level of creativity by taking into consideration the content of the dialogue and the debate that presents truth or accuracy with legal tricks to ensure the success of the dialogue. Therefore, the exclusion of any type of dialogue that facilitates inaccuracy and camouflage of truths in order to achieve results with methods other than the method and theory of argumentation.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال: 2020-01-11
المراجعة: 2020-04-18
القبول: 2020-05-18

الكلمات المفتاحية:
الحجاج،
النقد،
المنطق،
الحقيقة،
المغالطة،
الحوار.

ملخص

لطالما أريد بالحجاج كعلم ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع أو الإفحام معا أيا كان متلقي هذا الخطاب ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك وليست غايته الصواب أو الصّحة بل التأثير والتقبل، ولهذا قيل إذا كان هذا هو حد الحجاج فإنه لا يقدم ولا يؤدي إلى تطوير المعرفة، ولكن في الحقيقة الحجاج وإن كان لا يخرج عن دائرة الإحتمال وشبه الحقيقي فالمحاجج الفيلسوف خاصة لا يبرهن ليقنع الأخرين فقط بل ليمارس عليهم فضائل الاهتداء إلى طريق التحليل والانخراط في مسار الحقيقة.

وهذا ما نريد أن نوضحه في هذا البحث أن الحجاج ليس ممارسة عادية كما يرى البعض بل مهارة وعمل نقدي لبناء نسق ومعرفة جديدة لا يسمح أن يزكى أو يقصى أحد إلا في إيطار عمل نقدي، لهذا نجد أن المعيار الذي نقيس به خطابا ما ليس هو نجاعته وملاءمته للجمهور فقط بل يشدد كذلك على مصدر الحجة ونوعها إلى جانب بلاغة الأسلوب والمكتوب نقدا وإبداعا وما يتضمنه من حوار ونقاش ضمني وإظهار الحقيقة أو الصواب بطرق مشروعة لضمان نجاح الحوار، وبالتالي رفض كل حوار يرتكز على السبل التي تيسر للمغالط عملية طمس الحقائق بهدف تحصيل نتائج يصعب الوصول إليها بطرق الحجة المقنعة.

* Corresponding author at: Hassiba Ben Bouali University of Chlef, Faculty of Humanities and Social Sciences, ALGERIA
Email : Haroun_ghania@yahoo.fr

1ـ مقدمة

تصنف النصوص عادة بحسب أجناس الخطاب إلى (الخطاب السردي، التفسيري، الوصفي، الحجاجي، وفي هذا الإطار الأخير يصنف النص الفلسفي ضمن فئة النصوص الحجاجيّة والذي هو أيضا بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق، والعديد من حقول المعرفة الإنسانيّة يسعى كل منها إلى ضمه إلى حظيرته الخاصة والاستفادة من إمكاناته وهذا ما جعل مفهومه يُطعم بمفاهيم ووظائف وتنظيرات مختلفة مازالت في تجديد مستمر ويعد اليوم من بين أكثر التقنيات ثراء على المستوى الثقافي والأكثر انفتاحا على المستوى الانساني بإشراك الآخر في الرأي، ويمكن أن نلحظ ذلك ضمن مجالات متعددة مثلا في القضاء والسياسة...التي يطمح كل طرف فيها إلى محاججة الطرف الآخر بغية إقناعه، وبهذا صار أيضا الإقناع مطلب كل عمليّة فكريّة معينة سواء أكانت هذه العمليّة فكرة أم مقالة أم حركة، ولكن إلى جانب الاقناع نحتاج إلى العملية النقدية التي هي أيضا ضرورة ملحة في عصرنا هذا الذي يهمه الحقيقي عن المغالطة فهو الذي يسمح بنمو العقل وبوصفه ذلك النمط من التفكير الذي يميّز بين الموضوعات ويبحث عنها ويرحب بالتناقضات التي تساعد على التقدم والتطور، والاهتمام بتحديد الأحكام والمبادئ العامة وليس بالإصرار على الجزئيات فقط بما يؤدي إلى اكتشاف العناصر المتضمنة مع تلافي الأحكام المسبقة أو التعصب لرأي معين.

إننا نعيش في مجتمعات تتطلب أن نكون قادرين على التعبير عن آرائنا وعلى نقد آراء الآخرين، نحتاج إلى حوار ونقد شريف حيث يستمع الواحد إلى رأي الآخر دون أن يتخلى عن رأيه الخاص، ودون أن يشتهي موت الآخر لأنه يختلف عنه في الرأي، ونحن مجبرون ضمن هذا المجتمع على أخذ الكلمة وعلى إتخاذ القرارات كما أننا في حاجة إلى حرية ممنهجة من أجل تحقيقها، فهذه الحرية إن لم نقم بتأطيرها ستقودنا إلى نتائج عكسية ولهذا فالتصور النقدي يرفض كل الصيغ السلطوية التي لا تعطينا الإمكانيات المطلوبة للتعبير عن آرائنا، ولكن من جهة أخرى والذي يهمنا هنا هو إذا كانت الفلسفة كما يتفق الكثير من أهل الإختصاص على أنها هي تساؤل مستمر وسيرورة حوار جدلي لا يمكنها أن تكون غير تفكير برهاني وحجاجي، إنها "بقدر ما هي محبّة الحكمة كما هي في أصلها اللغوي Philosophia فهي أيضا محبة الانتصار ولعوامل الانتصار"[1]، ولهذا يقال "إذا كان الحجاج فعاليّة خطابيّة وتداوليّة وبلاغيّة وجدلية فإن القول الفلسفي يشكل حقلا وإنجازا خاصا لهذه الفعاليّة...إنه بعد جوهري في الفلسفة سواء اعتبرناها فلسفة أو تفكيرا، وعليه فمن المحال تصور مذهب فلسفي أو تحليل فلسفي معدم الحُجج والحِجاج"[2]، وبهذا يعد الخطاب الفلسفي مجالا للنشاط الحجاجي نظرا إلى تعدد المواقف الفلسفيّة واختلافها وتصارعها، ولتنوّع آراء الناس الموّجه إليهم هذا الخطاب واعتقاداتهم ولهذا يقال كل تفلسف هو برهنة وحجاجية يمارسها الفيلسوف، ولكن أيضا من جهة أخرى الفلسفة كمعرفة أو كتفكير تسعى إلى الصرامة وإلى الجرأة والضبط المنطقي والتحكم في مراحل الاستدلال قصد بلوغ الحقيقة لهذا فإذا كانت القيمة الخاصة للحجاج الفلسفي تتجلى في كون عملياته تتوخى إفحام كل عقل مهيّأ للتفكير العقلاني فإن الطريقة الفلسفيّة ليس هدفها التأثير في الأشخاص بل منح الأفكار قوتها الإفحاميّة، فلذلك يكون عمل الفلسفة أيضا "من عمل النقد وهو نقد إستراتيجي كما قال عنه Jacques Derrida (1930-2004)"[3] لأن الفكر النقدي بما هو مظهرا جدليا للهدم وإعادة البناء أي طريقا للتحول والتطور فهو الذي يعطي للفلسفة سيرورتها وانبعاثها وتجددها، ولهذا طالما تساءل الفلاسفة على نحو تقليدي: هل ينطوي الحجاج الفلسفي على آليات تمكن من بلوغ الحقيقة وإثبات الباطل؟.

وقد تبنى بذلك الكثير من الفلاسفة من قبل التراث العقلي خاصة مثل ديكارت وبرغسون ولايبنتز الذين رأو فيه أنه ليس آلية يمكن بها أن نبلغ الحقيقة فرفضوه، والكثيرون غيرهم تبنوا موقفا غامضا منهم خاصة المناطقة والفلاسفة المحدثين الذين هم بالذّات من ظلّ غير آبه بموضوع الحجاج، ومرد ذلك إلى غياب الطابع الملزم فيه التي تساق للتدليل على الدعوى وإلى طبيعة المجادلة والحجاج المناقضة للضرورة والبداهة التي تسعى إليها خاصة الفلسفة، كذلك تبنت فئة معينة مؤكدة مثل ليونيل بلنجر Lionel Bellenger (1947) "أن الحجاج إنما غايته هو إقناع المخاطب "ولا يكون جيد إلاّ إذا نجح في تحقيق هدفه هذا أما مسألة درجته ونوعه الفكري ـ يقول ـ وصولا إلى مصداقيته فهي مسألة ثانوية وهذا ما يثبته لنا السياسيون في كل يوم"[4] أيضا، ولهذا يكون السؤال الذي يواجهنا ويكون مركزي في ورقتنا هذه هو: بأي معنى يمكن للحجاج الفلسفي بما هو إقناعي بالدرجة الأولى أن يكون عقلانيا إنتقاديّا؟ وبالتالي أن يقترب إلى البرهان وينال رضا الباحثين كآلية للبحث للوصول إلى الحقيقة؟.

2. البعد الحجاجي في الخطاب الفلسفي

ولكي نستطيع الإجابة عن السؤال المطروح لا بدّ إذن علينا أولا أن نفكك هذا المفهوم ونحلّل أبعاده وإستعمالاته حتى يتضح لنا إلى جانب بعده الإقناعي أبعاده الأخرى وخاصة النقدي منها:

1.2 مفهوم الحجاج

وكما يؤكد الدارسون والمهتمون به أنه من المفاهيم المثيرة للإلتباس لتعدد موضوعاته وتعدد مظاهره وتوجهاته، وتعدد استعمالاته وتباين مرجعياته بحسب العلوم التي يوظف داخلها وفق قوامها الابستمولوجي أو المنهجي: المنطق، الرياضيات، البلاغة، القضاء، الفلسفة...إضافة إلى خضوعه إلى تأولات متجددة وطواعية استعماله فليس له معنى عام كلي، إضافة إلى تلك السّعة اللغوية والمساحة الرحبة التي يمتلكها فهناك الكثير من المصطلحات المشتقّة منه أو القريبة منه ولكي ندرك

معنى الحجاج يجب أن نوضّح أولا:

معنى الحجة: وهو لفظ أيضا في الحقيقة غامض أكثر مما يظهر في اللحظة الأولى لأن غاية الحجّة المتمثلة في الإقناع لا تقوم دون أدلة، وهو ما يستدعي التمييز بين الاقناع Persuasion والاقتناع Conviction فإن كان الاقناع "عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما شرطا كافيا ومقبولا للفعل أو الترك"[5]، ولكي يحصل الإقناع لا بد وكما يؤكد المتخصصون فيه أن تتوفر نظرية الاقناع على جملة من الأبعاد اللغوية والتداولية والمنطقية كما سنرى لاحقا، ولهذا فالفرق بينهما هو أن "المرء في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة أمّا في حالة الاقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه دائما"[6]، وبهذا يقابل الإقناعُ الاقتناعَ مقابلة الذّاتي للموضوعيّ أو الجزئيّ للكلّي، وإذا عدنا إلى أفلاطون مثلا وجدناه في محاورة جورجياس "مؤكدا أن الاقناع نوعان إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظن وهذا الثاني هو موضوع الخطابة السفسطائية، ويؤكد أن الاقناع المعتمد على العلم مفيد إذ يكتسب منه الانسان معرفة أما الظن فلقيامه على الممكن Probable والمحتمل كان الاقناع المعتمد عليه غير مفيد حسب أفلاطون فهو لا يُكسب الانسان معرفة بل يُنشئ لديه اعتقادا Belief"[7]فقط.

فلفظ الحجّة إذن هي "نقاش أو جدل نحاول من خلاله التغلّب على الخصم ونبرهن على أنه مخطئ، أو هي السبب في إثبات قضيّة ما أو دحضها فهي عنصر أساسي لكل ما هو عقلاني"[8]، ولهذا تكتسب الحجة قوتها وكما سيظهر لنا لاحقا من جهتين: أولا من خلال سياقها التراتبي في سلسلة أفعال الكلام الموجودة في الخطاب وكذلك من خلال بنيتها الداخليّة ومضمونها الخاص خارج سياقها الخطابي أي بما هي مقدمات ونتيجة، وثانيا من خلال طابعها الإشكالي لأننا نتحاور حول إشكالات وأسئلة قبل كل شيء وهذا ما يمنحها الطابع الجدلي الذي يؤسس لحوار حجاجي تنتصر فيه الحجة الأقوى وتوجه الخطاب نحو الأغراض العمليّة التي تهدف إليها.

ولأن "الحجة ترد في سياق الجدل والمناظرة"[9] وتتأرجح بين الإضمار والظهور وتعدّ موجهة لإثبات أطروحة أو دحضها، فهي تتخذ صورة استدلال تصير النتائج فيها منسجمة مع المقدمات التي انطلقت منها، كما تحيل على الواقع لتأخذ مضمونا ماديّا تصبح الوقائع والاحداث بموجبها أدلة، بمعنى أنه يجب أن تكون هناك علاقات منطقية ودلالية تقوم بين الأقوال والجمل مثل علاقات الشرط والسببية والاستلزام والاستنتاج والتعارض وهو مايسميه العزاوي "علائق حجاجية استدلالية"[10]، ولذلك تدرج الحجة أيضا "بمعنى الشاهد والاستدلال والبرهان ولكن ذلك ضمن دائرة البيان والبلاغة الاقناعية، وهو الذي جعل القواميس العربية تذكر هذه المفردات أو المفاهيم بمعنى واحد ولا تميز بينهما تمييزا دلاليا أو وظيفيا"[11]، وإن كانت البلاغة كما سنرى لاحقا كإسم أطلق وخصوصا في العصر القديم على "فن القول الاقناع"[12]، ولكنها تشكل حديثا عند بيرلمان إمبراطورية واسعة والأساليب الحجاجية ما هي إلا رافد من روافد هذه الامبراطورية، لذلك لا يجوز إطلاقا إختزال البلاغة سواء كفن الكلام والقول أو كمباحث ودراسات في مفهوم الحجاج والمحاجة البلاغية.

أما الحجاج لغة Argumentation: فقد جاء في لسان العرب "حاججته أُحاجه حجاجا ومحاجةً أي غلبته بالحجج التي أدليت بها"[13]، وكذلك يكشف المعنى المعجمي للحجاج إحالات كثر على مدى ما تستبطنه الكلمة من دلالات فيشير المعجم إلى ظهور الخصومة حول قضيّة معينة تستلزم طرفين متنازعين حولها، كما يكشف أيضا لفظ الجدل بوصفه مرادفا للحجاج فهو في معجم ابن منظور يعني "شدّة الخصومة... مقابلة الحجّة بالحجة"[14]، أي تدل على التخاصم والمغالبة بالحجّة، وفي المقابل نجد ضمن معاجم اللغة الفرنسيّة لفظة Argumentation من ضمن ما تدلّ حسب معجم روبير مثلا على "فن استعمال الحجج أو الإعتراض بها في مناقشة معيّنة"[15]، وبذلك فالحجاج هو خطابة لأحد ما يطرح أسئلة على سبيل الجدل والمحاجة ويطرحها لأجل غايات متنوعة سنراها لاحقا مستخدما أدوات شتى وفي المقابل هناك إمكان طرح البديل لموجود آخر.

ولكن ايضا لا بد من التمييز بوضوح بين فعل الحجاج وفعل التطويع manipulation بوصفهما وجهين متعارضين للإقناع، فالاقناع إضافة إلى ما قلناه سابقا فهو "يكون القصد منه الإخبار أي وصف موقف معين على نحو أكثر موضوعيّة أو يكون القصد منه أيضا الاقناع بواسطة أدلة تحمل المتلقي على الانخراط في رأي ما"[16]، في حين التطويع هو تقنية لإقناع المتلقي لكن من دون حجاج - حيث يحرم المتلقي من حريته في الاختيار -، فالحجاج ليس إقناعا مفروضا لأن معناه اقتراح الرأي على الأخرين وتزويدهم بالأدلة الكفيلة بجعلهم يذعنون له وهو بذلك يختلف مع التطويع أي التأثير القسري بالمعنى الذي لا يكون فيه التطويع قائما على وسائل حقيقيّة.

أما من حيث المعنى الاصطلاحي للحجاج: وحيث يدرج كذلك ضمن ما يسمى بالمنطق اللاصوري أو الفكر النقدي أو منطق الحوار أو المنطق التطبيقي أو الخطابة الجديدة، ومما سنراه في هذا السياق من إضاءات يظهر مدى وفرة ما يحتويه من التعريفات والإشارات كما يظهر عن تنوع واضح حسب اتجاه كلّ معرّف ومنهج كل حقل ومدرسةٍ تناولت الحجاج قديما وحديثا، فكما قلنا سابقا أنه ليس مُلكا معرفيّا خاصا بحقل معرفي معين من الحقول التي تناولته وعرّفته إنّما هو ملك مشاع في كثير من الأنساق العلميّة، ويميز أرسطو تحت الاستدلال الحجاجي بين:

الحجاج الجدلي: وهو نوع أوسع من الثاني يمارس في فحص قضايا الفكر وفحص نمط اجتماعي ثقافي معين وفحص جوانب من الأحكام المتعلقة بالسّلوك كما يمارس في توجيه

الفعل، وهو كما وظفه أرسطو عبارة "عن الوسيلة التي يريد بها ان ينقل الحجاج عموما من مجال الظن والاحتمال إلى مجال الحقيقة"[17].

والحجاج الخطبي وهو متعلق بالإقناع "وهو لا صلة له ـ في مقابل ذلك ـ بالقضايا المتعلقة بالبحث الفكريّ فمجاله هو توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد أو صنعه"[18] مشغله عملي ويتمثل في بناء الحكم وتوجيه الفعل، ولكن يبقى الحاجة الملّحة إليهما هو الوظيفة الاقناعيّة الغير القسريّة، وقد أشار وأكد أرسطو في الخطابة "إن الناس جميعا يشاركون بدرجات متفاوتة في كليهما لأنهم جميعا إلى حدٍّ ما يحاولون نقد قول أو تأييده والدفاع عن أنفسهم أو الشكوى من الآخرين"[19]، ولكن يتفوق الحجاج الجدلي عن الخطابي أنه هو فعالية "الباعث إليه وجود شك في مدى صحة فكرة ما تتطلب تدقيقها والتشديد عليها لأن بدون ذلك التدقيق والتشديد تبقى غامضة وغير واضحة بما فيه الكفاية فلا يمكن فرضها على المتلقّي الفرض القويّ الذي ينبغي أن تفرض به"[20].

ويمكن تعريفه أيضا من خلال:

إيطاره البلاغي والخطابي: وكما يعرفه بيرلمان (1912-1984) C.Perelman الذي له الفضل في إنبعاث اهتمام حقيقي بالحجاج في العصر الحديث أنه "فعل ينزع دائما إلى تعديل حالة الأشياء الموجودة من قبل"[21]، وهو أيضا "دراسة التقنيات الخطابيّة التي تتيح إثارة أو زيادة إذعان العقول للأطاريح للحصول على التصديق"[22]، فالفعل الحجاجي في هذا الاتجاه هو قبل كل شيء منح المتلقي دلائل جيّدة للإعتقاد بما يقوله المتكلم، ويقصد به مخاطب آخر ليس حاضرا بالفعل لحظة الكتابة الذي يدفع المحاجج إلى تمحيص الخطاب لتنمية الحجاج بعيدا عن وسائل الضغط والمصالح الآنية والتحريض، ويعرفه أيضا لناfrance h van Eemeren (1946) أنه "ممارسة لفظية اجتماعية عقلية تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبولية الموقف بصياغة مجموعة تراكمية من القضايا التي تبرر الدعوى المعبر عنها في الموقف أو تدحضها"[23]، إنه فعل ينتمي إلى مجموع الأفعال الانسانيّة، وهو بقدر ما يفيد التواصل حيث يتضمن مثل أي موقف من هذا النمط رسالة ومشاركين أي ديناميّة حقيقيّة، ولكنه في كل ذلك يرفض تحقيق النجاعة بأي ثمن لأنه يتضمن الاستخدام الجيّد للحجاج وقطيعة مع عالم تقنيات التأثير القسري، لأنه هو كفعالية يسعى من خلالها المتحاجون إلى تعليل نتيجة ما ورفع المغالطات.

والمغالطاتFallacy : والتي هي "استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو وكأنه مقنع سيكولوجيا لكن لا منطقيا على الرغم مما به من غلط مقصود وذلك لاختفاء هذا الغلط وراء الغموض اللغوي أو الإثارة العاطفية أو لعدم الانتباه إلى ما به من مخالفة للقواعد المنطقية"[24]، ورغم أنها لا يمكن أن تقنع إنسانا عقلانيا بقبول نتيجتها ولكنها تستخدم فيها آليات وأساليب قد تمر على الواحد منا إن لم يعرف تلك الأليات والأساليب، ولا يتوصل إلى كشف زيفها إلاّ بالنظر السديد العميق، وكما تقع المغالطات في الكلمات والعبارات تقع في الاستدلالات التي تعتمد حججا مغلوطة "كاللجوء إلى السلطة (سواء كانت حكومية أو معرفية أو أدبية)، أو الشعبية (التي توظف وجه الرياضيين والفنانين..) أو بمهاجمة الشخصية (السيرة أو الأخلاق مما لا علاقة له بالموضوع وهذا ما يلجأ إليه كثير من السياسين عند مواجهة خصومهم)، أو المصادرة على المطلوب (باعتماد ما يحتاج إلى دليل مقدمة وهو ما يمكن تسميته بالتبديع أيضا)، أو بالاعتراض بالمثيل (لست وحدي من يفعل هذا...الكل يفعل ذلك) فالمغالطات لفظية أو استدلالية ليست ممارسة سوفسطائية فقط ولكنها ممارسة قائمة تخرق شروط العقلانية التواصلية التداولية التي تحكمها أخلاقيات الحجاج من تسامح وتحرر من الوثوقية، وإنصات إلى الحجج المساندة للرأي الخصم وتغيير المواقف كلما كانت مقنعة وعقلانية"[25]، ولهذا في الاستدلال أو في الكلمات والعبارات لا يجب الغفلة عن المغالطات فهي أسلحة خطيرة في التمويه عن الحقيقة بل أكثر من ذلك يمارس استعمالها عنفا لا يقل عن العنف الذي يمارسه السلاح، بل إنه أخطر منه ولذلك ينبغي دائما الحذر منها وذلك بمعرفتها.

الحجاج في إطاره اللّغوي: حيث يعرّفه اللغويون على أنه آلية لغوية "يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللّغويّة، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها إذ كون اللغة لها وظيفة حجاجيّة يعني أن التسلسلات الخطابيّة محددة لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنيّة هذه الأقوال نفسها وبواسطة المواد اللغويّة التي تم توظيفها وتشغيلها"[26]، بمعنى ذلك ان اللغة ليست فقط أداة ولكن يمثل البعد الحجاجي من مقوماتها، فهي تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية وهي وظيفة مؤشر لها في بنيتها وفي بنية الجمل والأقوال نفسها فهي موجودة في الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية والتداولية.

من منظور نظرية التداوليات الحجاجية للحوار النقدي: التي أسسها إيمرين F.H.Van Eemmeren وغروتندورست R.Grootendorst (1944-2000) فهما يحددانه من منظور أوسع فعندهم هو "نشاط لغوي واجتماعي وعقلي يسعى إلى تحقيق عملية الإقناع في إطار عقلاني نقدي إما بقبول وجهة نظر ما انطلاقا من تبرير مجموعة من القضايا أو الاعتراض على إحداها ضمن ما عبر عنه في وجهة نظر مطروحة"[27]، ومعنى ذلك كما يوضح هؤلاء أصحاب النظرية التداولية أن الحجاج يجمع بين ثلاثة أنشطة: النشاط اللغوي اللساني وهو تحقيق للقواعد الأساسية لإستعمال اللغة سواء القواعد التركيبية أم الدلالية أم التداولية، النشاط الاجتماعي ويستند إلى القاعدة المباشرة التي تحقق عملية التواصل والتفاعل بين الأفراد إنه نشاط إجتماعي تفاعلي وأخيرا

النشاط العقلي الذي يستند إلى قاعدة عامة وهي إعمال العقل والفكر والحجاج في هذه الحالة هو إنتاج لمجموعة من المعتقدات والمعارف وتحقيق لها، وتبعا لذلك يصبح الحجاج عمليا بعدا من أبعاد الخطاب الإنساني المتاح باللغة المكتوبة والمنطوقة كما أنه فعالية منطقية ضمن هذا الخطاب، وبقدر ما تتباين وتغتني أشكال ومضامينه بقدر ما تختلف وتتباين فيه درجات الفعالية الحجاجية على مستوى البروز أو على مستوى الاضمار وكذلك على مستوى الانشاء والاشغال.

وخلاصة كل ذلك أن الحجاج هو بحث يعتمد التوجيه إلى النافع والمفيد من أجل ترجيح خيار من بين خيارات أخرى قائمة وممكنة بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بسلوك من نوع ما إزاء الوضع الذي كان قائما، ولذا عدّ علما من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا وحيق يقال لولا الحجاج لما علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم، ولكن مهما يكن فهناك نوعين من الخطاب خطاب حجاجي يشتمل على مجموعة من الحجج يمكن تمييزها وعزلها، وخطاب غير حجاجي لا يتضمن على أيّة حجة ظاهرة يمكن استخراجها ومنه يمكن وصفه بالخطاب الفقير المعرض للتهافت والتقويض والانهيار، وكل خطاب هو سلم حجاجي أي أنه يتكوّن من مجموعة من الحجج مرتبة ومنظمة تصاعديا من حيث قوتها يستعملها المتكلم قصد التأثير في المخاطب، والممارسة الحِجاجيّة والاستدلاليّة وخاصة في الفلسفة التي "لا تقصد لذاتها بل...قد تكون أحيانا مبررة بغايات تعليميّة عقليّة إقناعيّة حواريّة كما أنها قد تكون مبررة بغايات منهجيّة فكريّة جدليّة تحليليّة نقديّة"[28] كما سيتضح ذلك أكثر فيما بعد، وهنا يظهر لنا كيف يمكن أن يمثل فعل الاقناع بشكل عام بديلا ممكنا للعنف الجسدي لهذا يعد عنصرا أساسيا في إصلاح الأخلاق التي تتضمنها الديمقراطيّة...والاستغناء عن استعمال القوّة يمثل خطوة نحو إنسانيّة أكثر أي نحو رابط اجتماعي يكون متبادلا وغير مفروض، لهذا عد الحجاج جوهر الفلسفة لأن الفلسفة لا تهدف إلى الإقناع والاستمالة وإنما إلى إرساء الحقيقة، والخطاب الفلسفي خاصة اليوم يسعى إلى أن يكون خطاب منطقي ومهامات المنطقي الفيلسوف وإجراءاته مغايرة لما يفعله الآخرون، فهو يعمد أولا إلى تحديد خواص البنيّة البرهانيّة التي يجب تحليلها قبل القيام بأية تجربة يراد بها اختبار فعاليتها، ولهذا إذا كان الحجاج في مرحلة ما نظر إليه بوصفه بلاغة لا بد على تجاوزها لكن في العصر الراهن ونتيجة الفضائل الحضاريّة والانسانيّة التي يتضمنها الفعل الحواري الحجاجي يعتبر عصب الحياة وظاهرة تواصلية كبرى اكتسح وما زال يكتسح الحياة بشتى اشكالها ومجالاتها.

3. الخطاب الفلسفي من الإستدلال المنطقي إلى الإحتمال الحجاجي

لقد كان الإهتمام منذ أرسطو Aristote (385 ق م-323 ق م) في البحوث الفلسفيّة بالقياس البرهاني أكثر من الحجاج، لذلك "تبنّى أغلب الفلاسفة مبادئ المنطق وقواعده سواء من المسلمين أو الغربيين كنظريّة استدلال صارمة دقيقة مقابل الأقيسة الجدليّة (الحجاجة) التي تستعمل في ميدان المحتمل وبالتالي لاتؤدي إلاّ إلى نتائج متراوحة الإحتمال، فكان المسيطر في الخطاب الفلسفي هو الإستدلال الصوري في حين اعتبرت المحاجة كنوع من الخطابة التي تعلّم طرق الكلام الجميل لم يكن لها مكان في مجال المعرفة الخالصة في الإستدلالات التي تعمل بشكل صارم بمنأى عن جميع تأثيرات اللغة والعواطف وتلاعبات المستمع والمخاطب، ولطالما عانى الحجاج من هذا التقابل بينه وبين البرهنة التي تستفيد من الميزة العلمية المقترنة بمعالجة ما له صلة بالحقيقي والصحيح وبالمنطق في حين ارتبط الحجاج حيثما عمد الفكر إلى المضاربة واقترن بعقلية الدهاء والتلاعب والمحتمل "وإن سينتعش هذا النوع من الدراسة في عصر النهضة كردّ فعل ضد التصوراتيّة السكولائية لكن أيضا من جهة أخر أدى نمو روح العلميّة فيما بعد إلى الحط من شأن تلك المحاجات التي يقع التدرّب عليها في المدارس والتي لا تتوصل إلى نتيجة يقينيّة، فأخرجت من ميدان المعرفة كل تلك الأفكار التي تدور في دائرة الإحتمال لكي لا ينشغل العقل إلاّ بما يمكن أن يعرفه معرفة يقينيّة، لكن أيضا مع تطور العلوم في القرن العشرين والقرن الحالي تنبه العديد من المفكرين إلى حاجاتنا إلى استدلالات لا تجري في مجال النظر الخالص بل تستعمل في توجيه عملنا في شؤون الحياة وفي أن لها وظيفة عمليّة مثلما لها وظيفة نظريّة وتهدف إلى تبرير القرارات مثلما تهدف إلى إثبات الحقائق"[29]، ومن هنا وقع ردّ الإعتبار الفلسفي لنظريّة المحاجة كما سبق وقلنا مع الكثير من الفلاسفة مثل ش. بيرلمان ولوسي أولبرخت تيتيكا L.O-Tyteca (1899-1987) في كتابهما "مصنف الحجاج" وتولمن S.E.Toulmin في كتابه "استخدامات الحجاج"، إلى جانب الدور الذي اضطلعت به التداوليات في تغذية الدراسات البلاغيّة الحجاجيّة فقد أدى نمو هذا الحقل الذي قام على دراسة اللغة في السياق وربط اللغة بمستعمليها إلى إحداث مفهومات استثمرتها الدراسات الحجاجيّة من قبيل مفهوم نظريّة أفعال اللغة عند أوستين J.L.Austin (1911-1960)، وسورل J.R.Searle (1932)... فجاء إحياء الخطابة عامة والحجاج خاصة في منتصف القرن العشرين كصدى لتلك الحاجة وللتطورات المعرفية التي شهدتها العقود الأولى من هذا القرن وتجسدت هذه التطورات في تبلور واضح لروح علمية مغايرة لما كان سائدا خلال عصر النهضة والأزمنة الحديثة، فقد كشفت الأبحاث المعاصرة قصور فكرة البداهة الرياضية ذات الأصول القديمة كما أثبتت علوم الطبيعة خطأ الإعتقاد في واقع بسيط ومطلق يمكن اعتماده منطلقا أحاديا للمعرفة، وامتدت آثار هذه الأزمنة التي أصابت أساس اليقين المعرفي إلى مختلف المجالات من منطق ورياضيات وعلوم فيزيائية ومباحث إنسانيّة...وكان من ثمراتها بداية التحول نحو الاهتمام بالخواص الاحتمالية والارتيابية للموضوعات والمعارف، وترجم جانب من ذلك في سلسلة من الأبحاث التي انصرفت إلى دراسة الأجناس

اللاصورية واللابرهانية من التراث اليوناني والأرسطي خصوصا، فبدأت العودة إلى النظر في كتب أرسطو حول الجدل والخطابة والشعر والسفسطة...بعدما كان أرسطو التحليلي البرهاني يحجب عن الباحثين خاصة الفلاسفة والمناطقة كل أثر لأرسطو الجدلي الاحتمالي مع أن أرسطو بحث في الجدل وما يتصل به من أقوال حجاجيّة قبل أن يبحث في البرهان وخصائصه البلاغيّة عامة والعلميّة خاصة.

ولهذا يطرح الحجاج في علاقته خاصة البرهان (المنطق) والخطابة والبلاغة إشكالات وتحديات كبيرة لوجود إختلافات تصل أحيانا إلى حدّ التناقض، وإلى وجود تداخلات تجمعهما أحيانا، ولهذا لابدّ من توضيح تلك العلاقة التي تجمعه بهذه المجالات، وذلك بغية إظهار إلى أي مدى يمكن للحجاج الإمكانيّة للوصول للحقيقة لأن الأمر يتعلق هنا بواقعة حقيقيّة حيث يضع الباحث برهانا مبينا وفق آليات وتقنيات تجعله مقبولا من أقرانه الذين يستطيعون فحصه والتأكيد منه ومقبولا من الجمهور على أساس ما يمتلكه من ثقة في الخبراء وتلك التقنيات كما سيظهر لنا لاحقا.

علاقة الحجاج بالبرهان: إن الذي هو أكيد أن هناك اختلاف بين البرهان The demonstration والحجاج "فهما ينتميان إلى نظامين مختلفين فالبرهان ينتمي إلى نظام المنطق وأهم ما فيه هو الاستنباط، والحجاج إلى نظام الخطاب والذي بؤرته التمثيل، لهذا هناك سؤال يطرح نفسه هنا وهو إلى أي مدى تبتعد الفلسفة عن إستخدام البرهان؟ وبالتالي كيف يمكن أن تكون نتائج الحجاج صلبة نسبيا وتكون قادرة أن تقترب من اليقين البرهاني؟ وأي حجاج يتم اتباعه واعتماده في الفلسفة؟.

إن الكثيرين من أهل المنطق يميزون بينهما على أساس:

-أنه إذا كانت ميزة البرهان أنه "يتوخى معرفة يقينية حيث تنتظم المقدمات في لغة صريحة تكون الحدود والقضايا فيها بيّنة ومرتبّة ترتيبا يجعل منها استدلالا صحيحا"[30] ولذلك عدّه البعض عمليّة مفارقة للطبيعة الفلسفيّة ومدمّرة للأسلوب والأشكال الخطابيّة التي يتميّز بها الخطاب الفلسفي وهو التصور الذي يرى أن العقلانية (ديكارت، سبينوزا..) مفهوم مطابق للمناهج العلميّة وأن الأدلة المقبولة هي الأدلة التي تحظى بتقدير العلوم الطبيعيّة، أما الحجج المبنيّة على ما هو محتمل فإنها تجافي الحقيقة ولا ينبغي الاعتداد بها لعدم صرامتها أو مطابقة محتواها للوقائع.

-أن مجال البرهان هو مجال الاستدلالات المنطقيّة الصورية، بينما مجال الحجاج هو مجال الخطاب الطبيعي التداولي، وفي "حين تهدف البرهنة من خلال قيمتي الصدق والكذب إلى تأسيس قضيّة، فإن الحجاجيّة تهدف إلى الاشتغال على الرأي وتحديد قرار ما أو تبريره.

-وإذا كان البرهان المنطقي ينزع عن الحقيقة طابعها الشخصي المرتبط بالأفراد وأبعاده النفسيّة والاجتماعيّة وكذا طابعها الزمني المرتبط بصيرورة تاريخيّة"[31]، أما المحاجة فلا تملك أبدا هذه الصرامة القاهرة الموجودة في البرهنة الجيّدة، إن صحتها متدرجة فهي متراوحة في القوّة ولهذا يبقى بابها مفتوحا دائما فيمكن دائما السعي إلى تقويتها بتجميع الحجج المتضافرة.

-والمحاجة على عكس البرهنة التي تكشف عن إقترانات منطقيّة موضوعيّة بين قضايا متمايزة من أجل تنظيمها في نسق، أما المحاجاة فهي تتوجه إلى إنسان للإقناعه تلك هي وظيفتها الخاصة وسواء أكانت صارمة أم لا فهي حسنة عندما تنجح في ذلك، فهي في جوهرها جدليّة مرتبطة بالمناقشة حيث تقدم وتتقابل الأدلة المؤيّدة والأدلة المفنّدة لرأي من الأراء.

- كما يعد الحجاج بناء للمعرفة موجها للآخر على عكس البرهان الذي لا يبنى لأحد مخصوص بل للجميع ولا يهدف للإقناع بل للوقوف على الصدق والسبب في ذلك هو أن لغته صورية تتوافر على بنى دلالية واضحة ومحددة لا اشتراك فيها ولا التباس وعليه فهي مستقلة عن الذات العالمة على عكس اللغة الطبيعية.

فالملاحظ أن هناك نقاط إختلاف كثيرة وفروقا تميز البرهان على الحجاج ويمكن إيجازها كما قدمها لنا د.حسان الباهي والتي أجملها في "الصورية، التواطؤ، القطعية"[32]، فالاستدلال البرهاني يمثل آلية استدلال له خصائصه التي تجعله أنسب لقضاء المنطق والرياضيات دون غيرهما، في حين الحجاج يمثل آلية تعبيرية قابلة لأن تؤثر وتجلب إهتمام طائفة من السامعين، أن هناك فرقا بين البرهنة والحجاج في كيفية تمثيل كل من المُرسِلْ والمستمع فإذا كانت البرهنة لا تكترث بهما أكثر من إكتراثها بسلامة الاستدلال وصحته فإن الحجاج يولي عناية خاصة بهما، وهي فروق إذن أساسية ينبغي استحضارها أثناء معالجتنا لنماذج الاستدلالات المختلفة حتى لا تحيد أحكامنا عن شرائط النظر الصحيح، ولكن للأسف كثيرا ما نصادف مذاهب وتصورات في أبواب الفكر المتنوعة لا تعير هذا الأمر العناية التي يستحقها فينتج عن ذلك فساد في النتائج متحصل باللزوم عن فساد المقدمات، فتجد من الناس من يدعي البرهانية في فكرته بما يقتضيه ذلك من إدعاء اليقينية فيها مع أنها راسخة في الحجاجية وما ذلك إلا الجهل منه.

ولكن رغم ذلك في الحقيقة من جهة أخرى فرغم هذه الإختلافات فقد أظهرت الدراسات المهتمة بالحجاج أنه وإن كان هو ما ليس برهانا علميا فهو كذلك ليس بلاغة عاطفيّة فهو يقع بينهما، وهو في الوقت نفسه يتميز عن التطويع ويتعارض مع كل أشكال القسر لهذا لا يضير الاستدلال أن يتوسل بالطريق الحجاجي بل لا غنى للمستدل في أغلب مقامات الاستدلال عن الأخذ بهذا الطريق ما دام التفكير الانساني أكثر ما يكون في الأمور الاشتباهية التقريبية الترجيحية التي يتعذر فيها سلوك سبل الحساب المجرد، فيبقى اللجوء إلى الحجاج في حكم الضرورة لا الاختيار، فإن كانت

البرهنة كما ظهر لنا سابقا لها سياقها ونظامها الخاص وكان التفكير الحجاجي يقوم على حقائق عامة ولكن على آراء تهتم بأطروحات من كل طائفة، وبذلك فمجال تطبيق نظريّة الحجاج يتجاوز مجال تطبيق نظريّة البرهنة أيّما تجاوز ذلك أن الحجاجات تنهض على كلّ ما يمكن أن يكون موضوع إبداء رأي أو اصدار حكم قيمة أو حكم واقع أو موافقة نظريّة أو مناسبة قرار، توفر البرهنة أدلّة ضروريّة أما الحجاج فيقدم أدلة لصالح أطروحة محددة أوضدها، وهكذا وإن كانت لفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما أو إظهار الطابع الصحيح valide لاستدلال ما من وجهة نظر منطقيّة، ولكن هناك من يذهب أبعد من ذلك مؤكدا "أن البرهان لا يأتي بجديد وأن الحجاج هو الذي يرتبط بالممارسة الإبداعية في العلم وفي غيره والمجادلات التي عرفتها العصور القديمة والوسطى مليئة بالامثلة والاعتراضات، فالتمثيل مثلا وهو أهم أصناف الحجاج يترجم دائما حركة إلى الأمام لأن الذهن فيه يمضي أبعد من المعطى"[33].

علاقة الحجاج بالخطابة: وكذلك يواجه الحجاج تحديا آخر وهو على أنه لا يقتصر على مجرّد الدخول في علاقة استدلاليّة بل يستدعي أيضا الدخول في علاقة مجازيّة ما يجعل القول فيه أقرب إلى الخطابة منه إلى المنطق، وهنا الخوف من عدم إمكانية تحقيق الحجاج الفلسفي لوظيفته الذي مجاله الحجاج الجدلي الذي يقوم على أمور الإثبات والنفي والتأكيد والتحليل والنقد...عبر استخدام آليات المنطقية والدلالية إلى جانب الوسائل اللغويّة البلاغيّة التي في مقدور المتكلم توظيفها؟.

والخطابة وكما عرفها أفلاطون Platon (427 ق م-347 ق م) "بأنها صناعة قيادة النفوس بالقول"[34]، فهي أيضا بدورها فن إيجاد السبل الإقناعيّة التي تتضمنها كل حالة وذلك اعترافا بفائدتها وتلبيتها لحاجيات المجتمع في مجالات السياسة والاخلاق والقانون والمرافعات في رحاب المحاكم، وهو يرمي هنا القيادة نحو الحق والخير والعدل على عكس السوفسطائيين الذين عرفوها بكونها خطاب القدرة على تعبئة النفوس وتحريك العواطف واستمالة الوجدان فقد اصطنعوها مسلكا لإشاعة الثقافة الديمقراطيّة عن طريق تعليم فن الخطابة (البلاغة) وتربيّة القادة من أجل حمل المسؤوليّة التي تبدأ من حسن تدبير الكلام، ولكن إعتبروها أيضا مجرد تقنية كما تنتج إقناعا حقيقيا تنتج إقناعا زائفا إنهم لم ينظروا إلى الخطابة بوجه عام على أنها جدل أو وسيلة للتأثير فحسب بل هي ترتفع إلى مرتبة العلم والفن الحقيقيين كما يقول جورجياس وتبعا لذلك فالمعرفة الحقيقيّة هي تلك الممثلة في الخطابة (البلاغة)[35]، وبسبب ذلك ستصبح موضع النقد والرفض من طرف سقراط وافلاطون وارسطو الذين سيشحذون أدواتهم النقدية ويعملونها في تلك المظاهر المعيبة لأساليب السوفسطائيين وطرائقهم في استمالة الجمهور مؤكدين وجوب استعمال الخطابة على نحو أخلاقي لا غير أخلاقي مدشنين بذلك تقليدا سيستمر بعدهم ويتمثل في نقد الخطابات المغالطة والقدح في وسائلها وغاياتها، وتصبح الكثير من محاورات افلاطون أداة نقد أضاليل ومخادعاة السوفسطائيين وستكون الخطابة لتحقيق الفضيلة للنفس.

ولهذا قلنا سابقا أن هناك حجاجان وخطابتان أحدهما فلسفي(حجاج جدلي) والآخر بلاغي(حجاج خطابي فني) وإن كان لكل منهما أهدافه ومنهجيته وأسلوبا حجاجيا خاصا به ولكن أيضا هناك نقاط التي يتقاطعا فيها الواحد مع الآخر ويفترض منه، وهذه نقاط التداخل تزداد حديثا بعد التطورات التي لحقت الدرسين البلاغي واللغوي، فالناس على حدّ قول أرسطو "جميعا يشاركون بدرجات متفاوتة في كليهما لأنهم جميعا إلى حد ما يحاولون نقد قول أو تأييده والدفاع عن أنفسهم أو الشكوى من الآخرين"[36]، فالخطابة هي بالأساس قول التفاعل بين الانسان والانسان وهناك من الخطاب ما هو محكم وهناك ما هو متشابه، ما هو ظاهر وصريح وما هو ضمني ومقتضى ومستلزم إلخ، فهذا التعدد الوظيفي هو ما قد يستغله المغالط قصد التضليل والتغليط، فقد يأتي بحجة مقبولة ظاهريا لكنه في الباطن يراعي حجة أخرى وغرضا آخر، همه في ذلك أن يفقد الخطاب مقاصده ليدخل الشك والريبة في قلب محاوره ومن ثم وجب الاحتراز من استعمالات خاطئة وخاضعة للغلط أو التغليط فعدم احترام شروط الخطاب وضوابطه تجعله غير قادر على تحصيل الكفاية التدليلية والتبليغية المتوخاة منه، مع اعتماد سبل تبليغية تتوخى الاقناع بطرق تتناسب وقدرات المخاطبين، والفلسفة وإن كانت تستدل بالحجة لا بالبرهان كما سبق بوصفها نصوصا ومتونا، ولكن أيضا صلاحيّة الحجج الفلسفي تقاس بمعايير خارجيّة أي قوته وضعفه كفايته وعدمها نجاحه أو فشله في الإقناع فليست غاية الحجاج فقط التأثير والتقبل بل أيضا البحث عن الصواب أو الصّحة، لذلك فالمنهجية الفلسفية ترتكز بوصفها خطابا عقليا بإمتياز على مجموعة من المبادئ والقواعد، وتعتمد على الحجاج فنّا للإقناع لكن دون أن يكون الهدف المقصود من الحجاج التفاعل بين الانسان والانسان وبلوغ المقاصد المرسومة مسبقا لحركة الحجاج فقط، بل أيضا فحص الأفكار أو المواقف والبحث عن أقربها إلى الصواب، ومن البديهي أن تكون هناك إذن خطابة فلسفية لأن أفكار الفيلسوف ومعانيه لا تعرض عارية من متطلباتها اللغوية والأسلوبية، ولهذا فإن الخطابة هي أيضا نوع من النقد الفعال ذلك أنها تهتم "بعرض الأسباب التي تسبب أو تبرر إتخاذ قرار، وفي إستبعاد الإعتراضات أو الأسباب التي يمكن اللجوء إليها لصالح الإمتناع عن الموافقة أو لأتخاذ قرار آخر أي كل الأشياء التي تتطلب الإبداع من قبل القائم بالمحاججة وتتطلب من قِبَلِ الذين يريد (أي المحاج) موافقتهم (المخاطبين) وكذلك من قِبَلِهِ استعدادا لإعتبار مختلف أوجه المشكلة ولتقدير مناسبة حجة أو اعتراض وللموازنة بين المحاسن والمساوئ"[37].

علاقة الحجاج بالبلاغة: وإذا كان أيضا من جهة أخرى أيضا يقابلنا تحد آخر وهو أن أي حجاج يكون منخرطا داخل عمل

بلاغي بشكل دائم، كما أن التعبير الجيد يتموقع في مركز هذا العمل الحجاجي الذي يتطرق إلى استراتيجيات الإقناع بواسطة الأوجه البلاغية والمجزات والاستعارات المتنوعة الأكثر غني وخصوبة والتي لها انتشار واسع في الحقل الفلسفي، وإذا كانت الفلسفة تسعى إلى الصرامة وإلى الجرأة والضبط المنطقي والتحكم في مراحل الاستدلال قصد بلوغ الحقيقة، فإن البلاغة غالبا ما يضحي البليغ بالحقيقة أمام الكلام المنمق، ولكن رغم ذلك فإن الفلسفة تقبل بل وتظطر إلى قبول أختها لأنها تشكل بعدا أو ركيزة أساسية داخل التمارين الفلسفية، فالبلاغة وإن كانت فن الكلام والتعبير الجيد كما سبق ورأينا عند أفلاطون، فهي ايضا "فن وضع الحجج وترتيبها حسب النظام وذلك بطريقة تشد الأذهان وتستميل السامعين وتجعلهم ينخرطون في صلب الرسالة التي يفرضها منطق التواصل بين المرسل والمتلقي من هذه الزاوية تصير الفلسفة والبلاغة أختين توأمين الثانية تضع الصورة الحسية الواضحة بالنسبة إلى الأولى وذلك قصد تحقيق سير نبيه ذكي متبصر ومدعم بالحجج خدمة لمطلب الحقيقة"[38]، لذلك عدّها أرسطو تقنية تقدم الوسائل المناسبة للإقناع في كل حالة على حدة، وإن كانت تمثل أقدم صيغة من التحليل النقدي تلقاها الناس من المجتمع القديم إلى القرن الثامن عشر كانت تقوم بفحص الطرق التي بنيت بها الخطابات من أجل تحقيق آثار خاصة، فلم تكن تهتم بما إذا كان موضوع عملها منطوقا أومكتوبا شعرا أو فلسفة، رواية أو تاريخا...لذلك نالت عناية خاصة لدى الفلاسفة وفي مقدمتهم أفلاطون وأرسطو وهذا الأخير الذي قام بتقنينها وضبطها ضمن كتابه "الخطابة" الذي يمثل لبنة الدرس الحجاجي الغربي وأساسه لأن آراءه إمتدت إلى العصر الحديث، ولكنها أيضا هي من الفنون التي يعاد تعريفها كلما ظهر نسق معرفي جديد، و قد أعاد بيرلمان الاعتبار لها حينما وضعها في إطار الحجاج مؤكدا أنه لاوجود لحجاج لا يكون له أثر بلاغي فالحجاج والبلاغة يشد بعضهما بعضا والعلاقة بالسامعة هي طلب تصديقها والوسيلة إلى ذلك التقنيات البلاغية.

فالبلاغة إذن في جوهرها حجاجا لأنها تكون أداة الفهم والإفهام وأداة التأثير والاستمالة، ولهذا اعتبرها جيل غاستون غرانجي G.G.Granger(1920-2016) أنها "مجالا أساسيا للنشاط الحجاجي الفلسفي يسميها أو يساويها بتنظيم الخطاب ذلك التنظيم الذي يستهدف فعلا ما"[39]، ولهذا فإن كان لا بد على الحجاج الفلسفي أن يتميز بنوع من الدقة وحسن الإنجاز لتحريك الجهد قصد تحسين روح الشخص الذي يقرأ ما يكتب لكن دون نسيان شخصية من يتم معه الحوار، ولهذا يستعمل الحجاج الفلسفي في مجال الحقيقة هذا المجال الذي يتجلى بدوره في المعنى والقيم اللذين لا ينبثقان عن الإستنباط بل يندرج بشكل جزئي تحت بلاغة موجهة للإستمالة من أجل الإقناع.

وبذلك غدت الممارسة الفلسفة بوصفها ممارسة إشكاليّة وحجاجيّة منفتحة على مختلف الأوجه البلاغيّة من استعارة وكناية ومجاز وتمثيل وهو ما يؤكد الطابع الإبداعي للفلسفة وتنوّع أسئلتها ومقارباتها، إنه عمل نقدي لبناء نسق ومعرفة جديدة لا يسمح أن يزكى أحد أو يقصى الآخر إلا في إيطار عمل نقدي لبناء معرفة جدية ونسق جديد، وإن شكلت البلاغة والحجاج قطيعة مع التصور الديكارتي للعقل الذي ساد في الفلسفة الغربيّة لعقود من الزمن، وهو التصور الذي كان يرى أن العقلانيّة مفهوم مطابق للمناهج العلميّة وأن الادلة المقبولة هي الأدلة التي تحظى بتقدير العلوم الطبيعيّة، أما الحجج المبنيّة على ما هو محتمل فإنها تجافي الحقيقة ولا ينبغي الاعتداد بها، ولكن لما تبين للعديد من الدارسين عجز الاستدلالات المنطقية الصورية عن استيعاب كل متطلبات الاستدلالات اليومية لأن هناك مجالات لا يمكن إخضاعها لأساليب صورية مضبوطة ودقيقة، وبناء نماذج نظرية مغلقة باستفائها لكل الشروط التي يفرضها النهج الصوري انصب البحث على الممارسة اليومية والعادية للنشاط التدليلي، فكان لظهور مقاربات حجاجية متعددة المسالك ومتنوعة الآليات أثر في توجيه الدارسين إلى وجوب استثمار الطرق التدليلية الطبيعية في مختلف المباحث، ولذلك على المحاجج أن يقوم بتمحيص استنتاجاته على الدوام وذلك تمشيّا مع كون القياس الحجاجي من مستويات متراتبة في القوّة والوثاقة، كما أن العمليات المحصلة حجاجيا يراقب بعضها بعضا من أجل توفير التماسك الداخلي للأفكار وبهذ يعتبر الحجاج عند الكثيرين حقل خصب للأبحاث في ميداني العلم المعرفي والتفكير النقدي الفلسفي والفعالية العقليّة لا تستغني عن المحاجة ولا عن البرهان.

وكخلاصة لما قلناه سابقا يظهر لنا جليا كيف أن الحجاج هو قوام النصّ الفلسفيّ، ولهذا وإن كان كما يؤكد طه عبد الرحمن إن الفلسفة "لا يفيدها تقليد أهل البرهان في صنع استدلالات صورية لأنها لا هي ارتقت بها إلى درجة اليقين الرياضي ولا هي هدتها سُبل التوجيه العملي"[40]، فالحجاج الفلسفي يختلف عن البراهين الرياضيّة التي تستند على بديهيات أو أولويات فهو يبحث عن المعرفة عبر تحليل المفاهيم والحجّة بهذا المعنى لا تعتبر دليلا للقضيّة المطروحة بل نوعا من التوضيح لها إذ تظهر مختلف أوجهها، ولكن للقول الحجاجي أهمية في البحث الفلسفي نظرا إلى تعدد المواقف الفلسفيّة واختلافها وتصارعها ولتنوّع آراء الناس الموّجه إليهم هذا الخطاب واعتقاداتهم، ولأن ليس في الفلسفة حقيقية منهجيّة ولا نظاما صحيحا كليّا فكل نظام له جانب من الحقيقة فقط، والبعد الحجاجي هو مصدر غير مباشر لتحصيل الحقيقة في المعرفة، والاستدلال الحجاجي وهو أحد أبرز أنماط الاستدلال الطبيعي في الفلسفة يمارس كضرورة بهدف إضفاء التصديق على أطروحة ما وذلك عن طريق حشد التعليلات والمسوغات والحجج المدافعة عن أطروحة صاحبها أو

الداحضة والمصححة لأطروحة الخصم أو المسوغة والمكملة لأطروحة النصير.

وبذلك لا يمنع إذا كانت الفلسفية لا تتخذ في صياغتها الحجاجية البرهان أو البرهنة بالمعنى الذي يتم في العلم من القول أن صناعة القول الفلسفي هي صناعة جامعة بين الإستدلال الحجاجي والاستدلال البرهاني الخاص بها، والجمع بينهما هو جمع بين الآليات الجدلية التي تسهم في القضاء على الإشتراك والالتزام بالضوابط المنطقيّة ويسهم هو الآخر في بناء المفاهيم الفلسفية بطريقة إن لم تكن متواطئة فستكون قريبة من التطواطؤ، فتحقق الفلسفة آنذاك استدلالها بطريقة مناسبة للغتها الطبيعية فنكون إذ ذاك أمام استدلال طبيعي في مقابل استدلال استنتاجي إن هذا الجمع فيما يبدوا بين البرهان والحجاج بهذه الطريقة الفريدة هو الذي يجعلها كما يقول جيل دولوز "هي الحقل المعرفي القائم على إبداع المفاهيم..."[41]، وكذلك لا يمكن عزل البرهان الفلسفي وفصله عن اللغة وبالتالي عن البلاغة فهي ما يشكل قوامه وشرطا من شروط وجوده ولا يمكنه أن ينمو ويترعرع إلاّ في أحضان البلاغة الشيء الذي يعطيه بعده التداولي ذلك أن الفيلسوف يقوم في حجاجه بما يقوم به أي حجاج آخر يشبه ويستعير ويصف ويمثل ليفهم التصورات الأولية، وليشكل القضايا على شرط أن تكون استدلالته صادرة عن العقل دون أن يتجاهل متطلبات التلقي، فإذا كانت قيمة البرهان تقوم على منطقه واحترامه لمقدمات القياس والقواعد العقلية التي تساعد على تأسيس نظامها، فالحجاج يعمل على الأخذ بأدواته كالإستقراء والاستنباط والتعريف والمثال والمقارنة والمماثلة ولكنه يكتسب قيمته من خصوصيته، ولهذا يقال إذا كان الحجاج فعاليّة خطابيّة وتداوليّة وبلاغيّة وجدلية فإن القول الفلسفي يشكل حقلا وإنجازا خاصا لهذه الفعاليّة.

4. تقنيات وآليات إنتاج الاعتقاد الجازم في الحجاج الفلسفي

ولأن كما ظهر لنا من التحليل السابق أنه إذا كان الحجاج الفلسفيّ لا ينحصر في دائرة البداهة العقليّة، لكن ايضا بمعنى أن لا يكون عاطفيا، فهو يتّجه إلى جمهور كلّي عالمي يقصد مثلاً عقليًّا كلّيًا، لأن المعيار الأول الذي نقيس به خطابا ما ولكي يحقق نفاذه المطلوب ونجاعته إنما بحسب ملاءمته للجمهور وبحسب التقنيات المستعملة فيه والخاصة بمجال ممارسة الفلسفة التي تغطي دائرةَ شبه الحقيقيّ والمحتمل وما هو قائم على أسباب مقبولة حيث هامشًا من الخطأ يبقى قائمًا، بمعنى أن الممارسة الفعلية للحجاج تفترض وجود معايير صحيحة بين المتحاورين، إنها معايير خاصة بالتصديق التي بها يتم إقصاء مظاهر الاشتباه والالتباس والتناقض... لذلك يفترض الناس أن الأقوال التي تعرض عليهم ليست عليلة ولا خالية من الفائدة، وإن كان أيضا من جهة أخرى أن آليات وصيغ الحجاج لا تحتمل الشكلنة الصارمة التي نجدها مثلا في المنطق، ولكن الدارسون والمهتمون بالحجاج قد حددوها من زوايا شتى ومختلفة فتنوعت وتعددت بتعدد زوايا الحجاج ومجالاته، وهي تركز على المكتوب وآليات البرهنة فيه لأن مجال إعمال العقل فيه تحليلا وتأويلا أوسع مما هو متاح في الإستدلال البرهاني، ولهذا فإن واضع الحجج في المجال الفلسفي وكغيره في الحقول الأخرى (الحقول المعرفية الإنسانيّة مثل القضاء، السياسة...) إذا أراد أن يكون خطابه منسجما مع مستوى مخاطبيه أن يفهم:

4. 1 **تقنيات القول**: والتي هي:

أولا المقام المتكلم فيه: بأن ينطلق من موضوع محدد ويكون لديه رأي خاص حول هذا الموضوع حيث يعرض ويبني استدلالا كاملا ليؤكد مصداقية رأيه، ويمكنه كذلك أن يفند أو يدحض أطروحة ما وذلك بتشييد استدلال ايضا يبين أن تلك الأطروحة لا تعتمد على أساس، ولهذا فإن واضع الحجاج يبني انطلاقا من ثقافته ومشاعره وأهدافه وقيمه حجاجا ليدافع عن أطروحة ما أو ليدحضها، ثم ثانيا: أن يكون عارفا بأحوال السامعين ومستوياتهم المعرفية والإدراكية لأن بناء الحجاج مرتبط أساسا بتنوع المعنيين به فهم المقصودون بفحواه المطالبون بإنجاز محمولاته، المشاركون في صياغته وإخراجه "عليه أن يضع في الحسبان مستوى العقول التي يهدف إلى إقناعها ثم نوعيتها"[42]، كما يجب عليه أخذ إعتراضات الأخرين على وجهة نظره وحججه كمثيرات للتفكير، وثالثا:كذلك إن العملية الحجاجية تنبني على جملة من التصورات والمقدمات والفرضيات أي الرسالة في حد ذاتها التي ينسج منها المحاجج خطيبا كان أم كاتبا خططه البرهانية فبهذه المقدمات يُستمال المعنيون كما أن لهم الحق في رفضها إذا لم تنسجم مع تصوراتهم، أو كانت من البساطة أو السطحية بحيث لا تمثل أي عنصر جذاب ومن أهم مقدمات الحجاج التي تؤسس نقطة انطلاق للحجاج إنها وكما سماها لنا ارسطو "بالأليات القول وبنائه وإنتاجه في كل مرحلة وكذلك بالقوى الناظمة له، إنها أطراف العمليّة التواصليّة (المتكلم، المستقبل، الرسالة في حد ذاتها، كما أنه أيضا يشير إلى المحددات والخصائص التي ينبغي توفرها في كل عنصر من هذه الأطراف، سواء أكانت تلك المحددات معرفيّة أم نفسيّة أم اجتماعيّة..."[43]، وخاصة وأن الهاجس الكبير عند أرسطو ليس القول الحجاجي في حد ذاته وإنما المهم هو آليات إنجاز ذلك القول وإنتاجه والوصول إلى الجذور التي تشتق منها مختلف الأقاويل الحجاجيّة الممكنة، وذلك ردا على الاعتقاد السوفسطائي القائل بعدم وجود حق ولا وجود باطل في الممارسة الحجاجيّة في الحياة ولا صدق ولا كذب، ولهذا أراد هو وقبله فعلها سقراط وأفلاطون في مناهضة هذا الزعم والتصّدي له بالأدوات نفسها، أراد ان يفتح ستارة الوعي لأولئك الذين يريدون التسلل إلى عالم الحجاج من نوافذه وثغراته، وذلك من خلال عزمه على تأسيس جملة من القواعد والمبادئ لتكون حصانة للمتعلمين للحجاج، وأما حديثا فيذكرها لنا بيرلمان تحت مسمى "الوقائع، والحقائق، والافتراضات والقيم، وهرمية القيم، والمواضع"[44].

4. 2 التقنيات الاستدلاليّة

فإلى جانب تلك تقنيات القول كذلك فإن موضوع المحاجج يتحدد في دراسة التقنيات الاستدلاليّة التي تسمح للعقول بتأييد أو دحض الاطروحات المعروضة، وهي كتقنيات معرفية فكرية من خلالها يسعى المحاجج إلى تمرير خطابه أو حججه وجعلها مقنعة أكثر وأدق، والتي تتطلب كفاءة المحاجج في منهجه وفي بناء خططه القولية ورؤيته التي يؤسس عليها اختياراته في تقديم الفرضيات والمقدمات لتقوية حججه ومحاولة مفاجئة الخصم بطرحه لأفكاره في سياق جديد يحيكه بكفائته، مما يجعلهم يُعملون طاقاتهم التأويلية في التساؤل عن مدى مصداقية الأنساق الحاضنة لتصوراتهم السابقة، ولأنها متنوعة وكثيرة "جعل الباحثون هذه التقنيات على قسمين كبيرين وكل قسم يحتوي على جملة من التقنيات وهما:

الوسائل المنطقيّة والدلالية: التي تسمى أيضا بلاغة التفكير والتي هي عبارة عن كل فكرة "أداة" تحمل درجة من الحيلة أو البراعة تخاطب العقل مثل الحجاج بالقياس، الحد والتعريف، إظهار التناقض، الحجاج بالاستشهاد، الشرح والاستقراء والقياس والاستدلال والتعارض والجدل والتطابق والاستثناء والهدف والسبب والاضافة والنتيجة...

والوسائل اللغوية: التي وكما سماها بعض الباحثين بلاغة التعبير والتي هي عبارة عن الحيل الأسلوبية والتعبيرية وما يكون لها من وظيفة حجاجية كأسلوب التعريف وأسلوب الوصف وأسلوب السرد والوقائع وأسلوب الشرط والافتراض وأسلوب التمثيل وأسلوب المقارنة، وأسلوب التقديم والحكم"[45].

4. 3 آليات الحجاج: والتي يمكن تلخيصها في:

- الادوات اللغوية الصرف: مثل ألفاظ التعليل بما فيها الوصل السببي والتركيب الشرطي وكذلك الافعال اللغوية والحجاج بالتبادل والوصف وتحصيل حاصل.

- الآليات شبه المنطقية يجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير من الادوات اللغوية مثل الروابط الحجاجية (لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد) ودرجات التوكيد والاحصاءات وبعض الآليات والصيغ الصرفية مثل التعدية بأفعل التفضيل والقياس وصيغ المبالغة.

- الآليات البلاغية مثل تقسيم الكل إلى أجزائه والاستعارة البديع التمثيل[46]، إلى جانب أنواع الصفات والأمثلة والنعوت والتأكيدات والإهتمام بالمضامين التي تقوي الحجاج .

وكذلك تتعدد الصيغ الحجاجية وأنواع المحاجة وإن كان لا يمكن ذكرها كلها هنا لأن الذي يهمنا هنا النظر في وظيفة والغاية من هذه الأنواع ولهذا يمكن التمييز بين أربعة أنواع أو كما يحب البعض وصفها أشكال من الحجج متراتبة حسب خصائصها ومكوناتها:

أ-الحجج المنطقيّة: هي الاستدلالات الصورية التي تتميز بوجود الحتمية الاستدلالية بين المقدمات والنتائج.

ب-الحجج شبه المنطقيّة: هي الاستدلالات غير الصوريّة فما يميز الحجاجيّة شبه منطقيّة هو طابعها غير الصوري.

ج-الحجج الماديّة: وهي الحجج غير المنطقيّة المرتكزة على بنية الواقع والتي تعرض كمطابقات لطبيعة الأشياء نفسها

د-الحجج المعنويّة: وهي الحجج المستخرجة من طبائع الناس وأهوائهم غير أن البراهين بواسطة الطبائع أو الميول والاهواء لا يمكن أن تكون براهينا إلاّ إذا كانت منخرطة في خطاب عقلاني أي إلا إذا كانت حججا مصاغة ومشكلّة وهي حجج لا تقوم على الصورنة أو محاكاة الواقع وإنّما تقوم على الأفعال التي تنجزها والتي يتعذر وجودها في خطاب مُصورَن أو مثبت في وقائع[47]، ويستند في إعداد هذه الحجج على "ثلاثة مصادر: ثقافتنا وتاريخنا وكفائتنا التقنية (مصدر معرفي) طريقة تفكيرنا (العادات الاستدلالية) المنطق، النماذج الرياضية، التجريب وخاصيتنا الانفعالية (العواطف والأحاسيس)"[48].

فكثرة هذه الأنواع والأقسام والتي ذكرتها بإختصار لأن الهدف من ذكرها هو التاكيد أنها وإن دلّت فإنّما تدل على أن هناك دائما من يتتبع المحاجج وينظر في كلامه وأن هناك في الوجود خبرة تفوقه وبإمكانها أن تكتشف ثغرات في حجاجه، فهذه التقنيات وغيرها بما توفره من إمكانات تساعد الأطراف الحجاجية على تحقيق استراتيجياتهم التي يرمون إليها والتي ليست فقط الإقناع ولكن أيضا من أجل الوصول إلى الصواب باللغة والمنطق، وفي هذا الإطار وضع كذلك الدارسون للحجاج مجموعة شروط هي بمثابة قواعد شكليّة تساعد الحجاج على تحقيق غاياته وتعطيه قوّة وصلابة ومن هذه الشروط: "ألا تناقض الحجج نفسها أي أن يبتعد المتعلم عن استخدام اطروحتين غير متوافقتين، أن تكون متماسكة ومتوافقة مع الأطروحة المؤيدة للموضوع"[49].

5. خصائص الحجاج الفلسفي

إذن هكذا فعلى الحجاج لكي يحقق غاياته أن يكون نقديا عقلانيا، بمعنى أن يكون قادرا على تمكين الفرد العادي من مهارات بفضلها يستطيع أن يتعامل تعاملا ناجحا عند مواجهة أي نوع من الحجج وتعليم الجمهور فائدة البحث المنطقي، وهو أيضا اقتدار الفرد على استخدام المادة الحجاجية للمواجهة والوقوف عند الصور والتقنيات التي يتجلى فيها الفعل التدليلي المثمر للقول أو الحجة، والتي تأتي أحيانا مضمرة وأحيانا أخرى ظاهرة وواضحة ويمكن إيجازها انطلاقا مما رأيناه سابقا خاصة في:

5. 1 الحوار النقدي: إن ما يمكن أن نستنتجه مما رأيناه سابقا هو أن ما يجب أو ما ينبغي مراعاته في الحجاج أول الأمر ليس إبراز المتكلمين لذواتهم ولكن أن يشاطر الآخرون أفكارهم، فالحجاج

لا يمكن أن يكون "إلاّ إذا كان هناك من يتقدم للدفاع أو تبرير موقف ما يرى من حقه أخذ الكلمة"[50]، ولهذا كما كان وما يزال كما سبق واتضح لنا يندرج الحجاج دائما بشكل واضح في المثلث التقليدي مُرسِل-رسالة- مُتلَقٍّ، ولأنه وكما هو ثابت لا يمكن التعامل مع مواقف الفلاسفة من خلال ثنائية صحيح خطأ فلا وجود لموقف فلسفي صحيح أو لموقف فلسفي خاطئ لأننا ببساطة لا نستطيع أن نبرهن في مجال الفلسفة، فهي التي تفترض إبتداءا إستحالة الحقيقة وأنها على حد قول فتغنشتاين مجرّد إيضاحات، ولكن ذلك لا يفقد مواقف الفلاسفة قيمتها فكل موقف فلسفي له قيمة نابعة جزئيا من الحجج التي يستند إليها هذا الموقف لكن له أيضا حدود لأن الفلسفة هي خطاب يسعى لإرساء الحقيقة هو خطاب العقل والفهم والتأويل وهي أمور وثيقة الصلة بالحجاج، الحجاج بما يشكل الحوار، والحوار بمعنى الجدل بما هو ممارسة قوليّة فكريّة، وإن كان البعض يقيمون فرقا بين الجدل والحوار على أساس أن الجدل استدلال منطقي محض موجّه إلى مستمع متخصص تكون نتائجه ملزمة فيه بالنظر إلى منطلقاته ومسلماته المنطقيّة حيث يتم التسليم بها مباشرة، بينما لا يحصل التسليم في الحجاج إلاّ بعد المناقشة ولا تكون نتائجه ملزمة وهذا هو جوهر الاختلاف بين الجدل والحجاج عند هؤلاء، ولكن رغم ذلك فإن الجدل عند الكثيرين مثلما عند أرسطو نمط حجاجي "يدور على اختبار الأقاويل الخلافيّة بالخصوص وبالاختبار"[51]، وبذلك يعتبر الجدل عنده وعند الكثيرين مبحثا فكريّا، وغالبا ما تَتَّخذ هذه القضايا الجدليّة بنية تساؤليّة أي حوارية لذلك فالجدل في المعرفة عامة وفي الحجاج خاصة يقوم مقام الحوار لا بمعنى العناد والتمسّك بالرأي والتعصّب له.

إذن فالفعل الحجاجي بما هو عمليّة تفكير تتم في بنيّة حواريّة تخاطبيّة تنطلق من مقدّمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة وتخترق مجالات الواقع بأسرها الدينيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والفكريّة والسياسيّة...إنه حوار لا يروم نقل الخبر أو جعله مشتركا بل يروم نقل الرأي وتبادله، والرأي "وجهة نظر تفترض دائما وجود وجهة نظر أخرى ممكنة وهو ما يقتضي وجود الحجاج أو وجهة نظر تتعارض مع أراء أخرى في سياق جدالي مثلا"[52]، ولأن المحاجج يتعامل مع جماهير متباينة وأحيانا هناك تناقض بين الرأي الذي يدافع عنه والتشكيل الحجاجي الذي يقترحونه لذلك فهو يسعى إلى تغيير سياق التلقي أو آراء المتلقي بمعنى أنه في المحاججة ينبغي دائما ان تراعي أن قبول رأي الآخر لا يخلو من عواقب فيما كنا نفكر فيه سابقا.

وإن كان بيرلمان يميز بين الحوار Discussion والنقاش Débat فالحوار عنده تتم فيه مراعاة آراء ومواقف الطرف الآخر لذلك فهو الكفيل بالوصول إلى نتائج جيّدة وحاسمة لأنه عبارة عن بحث جاد في سبيل تبيان الحقيقة، أما النقاش فهو "سعي بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة لإظهار فرضيّة ما على أنها هي الصواب المطلق وما سواها باطل وبالتالي فهو لا يولي أهميّة تذكر لآراء المخاطبين ومواقفهم"[53]، ولكننا هنا نأخذه أي النقاش بمعنى الحوار النقدي مبني على سؤال جواب من خلال التفاعل بين المشاركين، إنه مسلك نشترك فيه مع غيرنا بهدف تحصيل المطلوب وفق مقتضيات تدليلية صحيحة ومتسقة وتامة، ولا يكتفي المستدل بوضع الدليل بل يروم النظر فيه مع محاوره حتى يتمكنا من تقويمه.

إن المحاور والمحاجج الفلسفي هو في نفس الوقت محلل نقدي يتمثل بعمق المَخاطَب وتحديد ملامحه الفاعلة وغير الفاعلة ويسعى إلى تمثل المقام المقصود وابراز أبعاده ومكوناته وروافده وأثرها كلها على شكل الخطاب وتحديد أبعاده وربطه بأطر فكرية جديدة تزيده فعالية وترتفع به، ولهذا عمل الكثير من الدارسين "رواد الجدليات الصورية والمنطق والحوار مع كل من Hamblin وMackenzie وHintikka وغيرهم بتحديد القواعد المنطقية واللسانية اللغوية الخاصة بالحوار الحجاجي...وذلك بصياغة أنساق جديدة للحوار وبتطوير التقنيات الصورية وغير الصورية للحجاج"[54]، وهذه المسالك والاجراءات والسبل المنهجية هي التي تسمح باستثمار الأدلة سواء في التأييد أو الإبطال وهي الكفيلة بالتمكين من إكتساب القدرة على التمييز بين المغالط والصحيح، ولهذا يؤكد بيرلمان وإيمانا منه "بأن الكلام غير المنضبط والكلام المستند إلى المطلق قد يقودان إلى اللاعقل وإلى التخريب والموت ولهذا كتب عن "العشوائيّة في المعرفة" عشوائية القول وعشوائية الفكر والأديولوجيا... فلا محاجة إيجابيّة اي منتجة دون تنظيم النقاش العمومي أي ضبط الحجج التي تحكمه"[55]، ولهذا كان الحجاج عنده حوار يسعى إلى إحداث اتفاق بين الأطراف المتحاورة في جو من الحرية والمعقولية أي أن التسليم برأي الاخر يكون بعيدا عن الإعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة.

وللحوار مظاهر أخرى متعددة وأنماط كثيرة منها:

- **المقارعة الشخصية**: Personal quarrel "هي نمط يسود فيه الهجوم المطبوع بنوع من العنف... الهدف منه حشد الحجج كيفما كانت لمجرد الرغبة في قهر الخصم وإلجامه.

- **المنازعة الجدلية**: Forensic debate هو أكثر انضباطا كونه محكوما بجملة من القواعد تحدد الضوابط التي يتعين على المشاركين احترامها فهي تقرر متى يمكن لهذا المحاور أو ذاك أن يتكلم وكم يمكنه أن يأخذ من الوقت....

- **الحوار التفاوضي**: negotiation dialogue الذي هدفه هو المصلحة الذاتية، والمنهج المعتمد فيه هو المساومة لذلك فإن بعض المناطقة يطلقون عليه المنازعة المؤسسة على المنفعة.

- **المباحثة**: inquiry والغاية من ورائه تحصيل المعرفة وبالتالي فإن هذا الضرب من المحاورة يشهد على الدوام مسارا تصاعديا ويكون المنطلق فيه العمل على تجاوز حالة نقص في المعرفة وتتميز المباحثة بأن المقدمات التي يستند عليها المتحاوران

يشترط فيها أن تكون معلومة الصدق.

وهناك أنماط أخرى من المحاورة أقل أهمية مما تم ذكره فهناك مثلا الحوار الاستعلامي وفي هذا النمط من الحوار يكون هدف أحد الطرفين الوصول إلى علم يعتقد الطرف الثاني أنه محيط به، وهناك الحوار التفعيلي أو الإنهاضي الذي تكون الغاية منه حمل المخاطب على إنجاز فعل ما وحثه على السلوك بوجه محدد يرتضيه الطرف الأول، وهناك ايضا الحوار التعليمي وفيه يكون هدف أحد الطرفين (المعلم) هو تلقين الطرف الاخر (المتعلم) معرفة محددة[56]، وتبقى المحاورة النقدية هي النموذج والصورة المثالية المعيارية للمحاورة المحمودة والخروج عنها إلى الأنماط الأخرى قد يعيق تحقيق الهدف من المحاورة خاصة في حقل الفلسفة حيث يؤدي إلى سوء الفهم والوقوع في الأغلاط، لأن في الحوار النقدي يتم السعي إلى الاتفاق اعتمادا على قواعد تداولية حجاجية بحيث يكون فيه العارض قادرا على تقديم وجهة نظره ويكون المعترض قادرا على نقدها، لذلك للمحاورة النقدية والحوار الحجاجي عموما أطوار أربعة تمر منها قبل الوصول إلى حلها "وهي كالتالي:

الطور التنازعي فيها يتم الاعلان عن وجود حالة تنازع وتعيين المسألة التي يدور حولها النقاش، الطور الإنفتاحي حيث يتم اتخاذ القرار والاتفاق بحل النزاع بواسطة محاورة موجهة بقواعد حجاجية ويقوم الطرفان معا باختيار نمط الحوار حسب النماذج التي رأيناها سابقا، الطور الحجاجي في هذا الطور يتصدى العارض للدفاع عن معروضه أما المعترض فيقوم بالإلحاح في طلب المزيد من الحجج خصوصا إذا بدا له تغير من طرف العارض في الوفاء بمهمته، الطور الختامي في هذا الطور يتم حل المحاورة وذلك بأن يقع الإعراض وهذا الاعراض إما عن الرأي المعروض وإما عن الاعتراض الذي وجه لهذا الرأي[57].

وفي النهاية لحصول الإقناع الغير القسري لن يكون بطريقة اعتباطية عشوائية بل هو إختيار فكري معين من بين ركام الفرضيات المطروحة، وبإزالة هفوات الطرح وأماكن الضعف فيها ورفع العيوب الخطابية أو الكتابية التي تدخل التناقض والتفكك في الخطاب، ولهذا يؤكد بيرلمان أن المخاطب أو المحاجج هو عبارة لمن يحاجج "بنية ممنهجة"[58]، فهو الذي يؤطر القول ويجعله ملائما للمقام الذي هو فيه، بذلك يكون الحوار من أهم سمات مهارات التفكير النقدي والذي هو الآخر أساسي في مهارة الحوار، ولهذا يبقى الحجاج السبيل الوحيد إلى حل النزاع بين المتحاورين والدخول فيه يستلزم مراعاة جملة من القواعد تدل على ضرورة المشاركة في المحاورة والتفاعل الحجاجي باحترام فرصة الاعتقاد أو الإنتقاد الحر والتي تضمن أن يتحقق ذلك في صورة تكون أقرب إلى النموذج المثالي للمحاورة العاقلة لكي يتم صوغ هذه القضية بنوع من الدقة والوضوح العلمي، لذلك ظهرت نظرية افعال الكلام باعتبارها إطارا يوفر الأدوات الضرورية لوضع مقاربة نظرية/ جدلية تصف الحالة النموذجية للتفاعل الحجاجي الذي يتم خلال المحاورة النقديّة بحيث يتسم هذا الوصف بالكلية والنسقية وقد تأسست هذه النظرية مع مطلع الخمسينات من القرن العشرين على يد جون أوستين وتم إغناؤها وتوسيعها من طرف جون سورل وبول غرايس، ثم جاءت مساهمة فان إيمرين وغروتندوست التي يمكن إعتبارها لحظة تحول نوعية في تطور هذه النظرية، إن الحوار النقدي المستند إلى العقلانية والتفكير النقدي والحجة المقنعة أساس التقليل من التباين بين مختلف الأطراف المتصارعة والسبيل الأنجع للإقناع والاقتناع ورفض أساليب المغالطة من اللجوء إلى الاستمالة والمشاحنة والتطرف والإقماع فيخرج من دائرة الحوار التعاوني المنتج ويتحول إلى حوار تعسفي عقيم.

2.5 **الإختلاف**: الحجاج إذن جنس خاص من الخطاب، منبعه هو الخلاف والتساؤل والحيرة حول قضيّة أو جملة قضايا لا يبدأ إلا بين مختلفين متقابلين أحدهما يطلق عليه اسم المدّعي وهو الذي يقول برأي مخصوص ويعتقده والثاني يطلق عليه اسم المعترض وهو الذي لا يقول بهذا الرأي ولا يعتقده، فالدخول في أي حوار إقناعي يتطلب البدء باستحضار مبدأين أساسين هما مبدأ التعددية ومبدأ الاختلاف الذي من خلاله تبدأ حالة الحجاج والدفاع عن الفكرة لدى المدعي المتكلم والمساءلة والإعتراض من المخاطَب المعترض، وهذه الخاصية التي تميزه عن البرهان الذي يبدوا داخل نسقه غير قابل للدحض والإبطال وبالتلي يصبح الحوار وحق الاختلاف المنطلقين الأساسيين لقيام حوار فاعل وفعّال يصون الآخر ويعترف به وبأحقيته في أن يتمتع بنفس الحقوق، فالحوار هو في ذات الوقت مسلك للتفاهم وسبيل لشرعنة التعددية والاختلاف ومن ثم وسيلة لاستبعاد كل أشكال الاستعباد والتسلط والقهر ومحو آثار الفرقة والفتنة.

ويختلف الاختلاف بين كل من النمطين الحجاجيين الجامعين الجدلي والخطابي ويرجع ذلك إلى اختلاف الشاغل في كل نمط منهما فالقائل في الحِجاج الجدلي يفحص مضمون الحكم أي يفحص قضيّة فكريّة، أما القائل في الحجاج الخطبي فمشغله عملي ويتمثل في بناء الحكم وتوجيه الفعل، والاختلاف في الرأي يتوصل إلى إتفاق لحله حينما يقبل المعترض بالعرض الذي دافع به العارض عن وجهة نظره أو تكون ردود أفعال العارض ناتجة عن الآراء النقدية للمعترض، وفي هذا الإطار فإن العملية التفاعلية بين أفعال اللغة الخاصة بالعارض وأفعال اللغة الخاصة بالمعترض تعبر عن المسار النموذجي للإقناع في الحوار، بمعنى هناك حقائق متناقضة يتصدى للدفاع عنها خطيبان مختلفان ويمكن أن يؤمن بها جمهوران مختلفان ومنشأ الاختلاف إنما ينشأ عندما يقدّم أحد الطرفين موقفه فيعبر الطرف الآخر صراحة بأنه لا يشاطره إياه أو على الأقل لا يؤيده.

وبذلك يصبح الاختلاف هو باعث الحجاج والمغذي الأوّل له، بل إن الحجاج أو الحوار ينبني عليه، فليس لمسألة ما تدور حولها محاجة حقيقيّة واحدة أو مطلقة بل لها حقائق متعددة ومتدرجة وعلى الأدلة أن ترجح إحداها على الأخرى أو أن تصل إلى ما هو أقرب إلى الصواب، ولكن يبق الهدف هو الحق الذي "طريق الوصول إليه ليس واحدا لا ثاني له وإنّما طرقا شتّى لاحدّ لها لأن الحق هونفسه"[59]، ومن ثم يعدّ الاختلاف عنصر هدم وبناء ضمن العمليّة الحجاجية الحواريّة وحيث يكون فيه بمقدور مُختلف الأطراف المتحاججة الدفاع عن تصوراتها وفق الشروط المتواضع عليها بدون إفراط ولا تفريط، ولهذا يمثل هذا الاختيار الهدف الاسمى للحجاج باعتباره تجسيدا للحريّة الانسانيّة وممارسة لإختيار عاقل، وللوصول إلى هذه الغاية يتخذّ الحجاج من مبدأي المعقوليّة والاقتناع الركيزتين الضروريتين في كل حوار بنّاء بعيدا عن أساليب الإجبار أو القهر أو التغييب، فلا جواب نهائي عن مسألة من المسائل والمعرفة خاضعة للممكن في حين أن الحقيقة بحث بدون نهاية، إن الحجاج مناقشة نقديّة لا يخضع فيه المتلقي لسلطة القهر وإنّما يسلّم بنتائجها بعد الحوار والنقاش.

5. 3 **المساءلة**: إن كل خطاب يستلزم أن يكون مسبوقا بوجود مشاكل تقتضي المناقشة والتحاورية التي تقوم على المساءلة وطرح الفرضيات أو الأطروحات على طاولة البرهنة والفعالية الحجاجية، والمتلقي يتصرف تجاهه على نحو مزدوج فعندما يقابل بالجواب يجب ضرورة أن يواجه السؤال، ولأن الحجاج كإستدلال غير الصوري لا يقدم ما يضمن أن السؤال المثار لن يبقى مفتوحا، فليس هناك قاعدة ملزمة يجب امتثالها عند طلب الحل مما يفسح المجال أمام إمكان دوام البديل ونشوء التناقض على عكسي البرهان الرياضي الذي يقنع لأنه يقدم الجواب عن السؤال المطروح، وكذلك إذا كان الحجاج ينشء حيث الخلاف فإن الخلاف هو سبب السؤال، سؤال الاختيار بين رأيين يقعان في مسألة واحدة في اتجاهين مختلفين، إن السؤال والمجيب انطلاقا منهما معا تتحدد معالم الإشكاليّة المطروحة، فكل تحاور يتطلب وجود طرفين على الأقل يقتضي من كل طرف إدراك طبيعة السؤال وتدبر الجواب ومن ثم الإلتزام بكل ما يقتضيه الحوار المشروع من كل من السائل والمجيب مما من شأنه أن يفضي إلى تقليص شقة الخلاف السلبي المبني على النبذ والإقصاء بين أطراف الخطاب، وهذا مايير M. Meyer (1995) يؤكد أن الحجاج لديه يعني المساءلة للأفكار وهذه المساءلة تقوم على مبدأ اعتبار الآخر والتعددية إذ مع تناوب السؤال والجواب والإقرار والإعتراض ومع نشاط الإختلاف تتطور المناقشات، وبذلك يكون عنده النشاط الخطابي ليس إلا مسارا للمساءلة، ولهذا ينطلق في تعريفه للحجاج من رؤية مغايرة عن ما رأيناه سابقا مفادها أن "الكلام وما يحويه يدفع إلى الحجاج وليس الحجاج سوى استغلال ما في الكلام من طاقة وثراء"[60]، والسؤال عنده كما يعرّفه "هو العائق أو الحرج أو الضرورة الاختيار أي أنه دعوة إلى إتخاذ القرار والبت في السؤال يتم بالإجابة عنه... إن السؤال بما هو سيرورة للمساءلة هو دينامية مسار يتجه نحو الحل"[61]، وهذه المساءلة أو الاستشكال هي التي تمنح المعرفة ميزة التعدد، فالسؤال يولّد خيارات متعددة في الجواب وهذا الأخير ليس ناجزا قارا بل هو امتدادات لا تفتأ تتفتح وتتطور وتنتج البدائل لذلك فوحده الاستشكال يمنح للثقافة المعاصرة تعدد المعاني، والصواب كما علمتنا الحكمة أنه يولد من اختلاف العقول.

5. 4. **اللغة**: ولن يتحقق كل ما سبق وكما تبين وظهر لنا إلا باستحضار اللغة التي تشكل الركن الرابع إلى جانب المتكلم والمخاطب والرسالة، إنها التي تمكننا من بناء الخطاب وفق طرق تدليلية وتبليغية متعددة ومتنوعة، فالوظائف التركيبية والدلالية والتداولية تلعب دورا أساسيا في تحقيق تلك الكفاية التدليلية والتبليغية والإقناعية للخطاب، ولكنها بما هي نسق ملتبس فضفاض يجعل ما نقرره غير محدد على نحو تام وهو مايميز اللغة الطبيعية عن باقي الأنساق السيميائية الأخرى، وهذه "التعددية الخاصة باللغة الطبيعية رغم أنها سمة تدل على ثراء اللغات الطبيعية لكن هي التي كانت وراء سمعة الحجاج السيئة"[62]، ولكن رغم ذلك أيضا فمحاولة فرض الأحادية على اللغة كما لو كانت ذات طبيعة منطقية سيكون عملا متعسفا، ولهذا ما يسعى إليه المختصون هو إزاحة كل ما يمكن أن يثير جدلا أو يكون ذاتيا في اللغة والعمل على اسقاط الموضوعية عليها لأن ذلك هو الهدف من الخطاب العلمي، وهذا ما يؤكده ديكرو بقوله "نقول عن المتكلم إنه يقوم بحجاج حينما يقدّم القول ق1 (أو مجموعة الأقوال) وغايته في ذلك حمله على الاعتراف بقول (أو أقوال) آخر ق2"[63]، ومعنى ذلك أن الحجاج يتضمن إنجاز لعملين: الأول يتعلق بما يقدمه القول من الحجج للإقناع والثاني ما يحيل عليه هذا القول من استنتاجات ونقد لأن الغاية منه إقناع المتلقي وحمله على تسليمه بالنتائج جديدة خلافا على القديمة بحيث يجري هذا التغيير في هدوء بواسطة الحوار لا الإكراه، بمعنى ذلك ان اللغة ليست فقط أداة ولكن يمثل البعد الحجاجي من مقوماتها.

وبذلك يكون الحجاج نمط من أنماط الاستدلال الطبيعي ينجز باللّغة الطبيعية ويكون الحامل هو الخطاب الطبيعي، إن الحجاج مؤسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، وإذا كان العديد من النماذج اللسانية الأولى تعتبر أن وظيفة اللغة الأساسية هي الإخبار (مثل سوسير) وهناك من يراه في التواصل أو الوصف التمثيلي وهناك من يؤكد أن وظيفتها هو إنجاز أفعال معينة (أوستن) (إنجاز أفعال من نمط الأمر، الوعد، النهي والاستفهام والنصح والشكر والتهنئة والانذار والوعد والوعيد والتطليق والتعميد والتعجب والتهديد...إلى جانب الإخبار ولكن يمكن حصرها جميعا في القول إنه "إنجاز أفعال عديدة ولتغيير الواقع أو تغيير علاقتنا معه وللتأثير في الغير وفي الأشياء ومن هنا سلطتها وسلطانها وقوّة كلماتها"[64]، ولهذا نبّه أرسطو في "بحوثه اللغويّة البلاغيّة

إلى قضيّة مهمة من قضايا الدلالة ذات صلة وثيقة بالحجاج ألاّ وهي التعمق والتصرف في قواعد التأويل الدلالي لتحقيق أغراض حجاجيّة لأن التأويل هو في الحقيقة عملية حجاجيّة بالغة العمق تتطلب التسلح بعدّة آليات معرفيّة يتمكن المؤوّلون بواسطتها من استغلال ما في اللغة من علاقات دلاليّة، ومن التأكد من إنسجام المعاني والنتائج والصور المقدّمة في النصوص النقديّة والابداعيّة والفنيّة عامة"[65]، لينتهي في نهاية دراسته للحجاج إلى تأسيسه على دعامتين كبيرتين الأولى يختزلها في مفهوم الاستدلال والثانيّة تقوم على البحث اللغوي الوجودي، وكلاهما منهجيّة وطريقة عقلية يسلكها الفيلسوف والبلاغي والناقد والمبدع أيضا بهدف إرساء حقيقة معينة وما يقتضيه ذلك الإرساء من عمليات عقليّة-منطقيّة تدعم ذلك الطرح دعما حجاجيا من جهة وأساليب إفحاميّة توجيهيّة من جهة أخرى.

5 .5. **التقويم**: ولإن قصد المتناظرين في التواصل الحجاجي لا يجب أن يكون غير إظهار الحقيقة أو الصواب بطرق مشروعة لضمان نجاح الحوار في الوصول إلى الحقيقة، فالحجاج ليس مجرد علاقة تواصل مع الأخر لإفهامه وإقناعه فقط فكما يرى طه عبد الرحمن يقوم الحجاج بين ذات عارضة معتقدة للفكرة التي تريد عرضها مستعدة للدفاع عنها وإقامة الدليل عليها وذات معترضة منتقدة للفكرة المعروضة تؤمن بحقها في المطالبة بالمزيد من الأدلة والبراهين التي تثبت نجاعة الفكرة، ولهذا ميز بين الحجج على النحو الآتي: "أولا: الحجة المجرّدة وهي الحجة التي يكتفي فيها بالنقل فقط دون أي عمل إنشائي أو خطابي يدخل في عملية النقل، ثانيا: الحجّة التوجيهية التي يقصد فيها إيصال المستدل الحجة إلى المخاطب المقصود ولكن لا ينشغل بمستوى تلقي المخاطب لها وردّه عليها، ثالثا: الحجة التقويمية بوصفها فعلا استدلاليا يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع مع نهوض المستمع بتقويم هذا الفعل"[66]، وهذه هي الشكل الأكثر استيفاء لشروط التخاطب الحجاجي التي تحدثنا عليها سابقا حيث تبدو الممارسة التداولية حية متفاعلة بين ذات عارضة وأخرى معترضة، والتقويم يعني "في بعده الابستمولوجي إجراء غايته وهي تحديد القيمة المعرفية لنظرية ما، يعنى البحث في مدى قدرتها على المساهمة في التقدّم بالمعرفة وذلك بالاستناد إلى المبادئ التي تقوم عليها النظرية نفسها أوّلا واختبارها في علاقتها بالمعطيات التجريبية التي تتصل بها أو يمكن أن تتصل بها ثانيا"[67] وبذلك يكون الحجاج هو أداة ناجعة لتحديد الحجج الأصيلة عن المغالطة المضللة كما سبق ورأينا.

وهكذا ففي المنطق الحجاجي لا بدّ أن يراعى فيه مدى مقومات الحجة الملائمة والفعالة كما يراعى فيه الصورة والمضمون بالاضافة إلى سياق التلفظ، ومراعاة هذه الأبعاد كفيل بجعل الحجة ملائمة بل فعالة بشكل يجعلها قادرة على ترك أثر في المخاطب ولن يعود الهم الوحيد هو البحث عن الصحة الصورية كما هو الحال في المنطق الصوري بل السعي إلى مقاربة مختلف أنواع الحجاج بما فيه الحجاج اليومي الذي نعتمد فيه على الاستنتاج أكثر من الاستنباط لإنه منطق بناء وتقويم، الأمر الذي يجعل من منطق الحجاج سبيلا لبيان أخطاء العلم والكشف عن السبل المشروعة وغير المشروعة التي يمكن أن تعتمد لقبول أو رفض نظرية ما، إنه آليّة نقديّة بما فيه الكفاية من خلال الطبيعة البناء والتفكيك التحليل والمقارعة والخصم وحضور الآخر وفي كل ذلك فهو يحرص الدقة ويظهر ذلك في توسله بآليات منطقيّة في الربط بين المقدمات والاستنتاجات الخاصة بكل من الأقيسة والاستقراءات ومما رأيناه سابقا من شروط، مما يعني أن الحجاج الفلسفي يسعى كذلك إلى بناء حقيقة موضوعية حتى وإن لم تكن مستقلة عن الأنا المتفلسفة، وليكون له ذلك فعلى المحاجج النقدي أن يراعي في فعاليته الحوارية تلك الأساليب الإجرائية والوظيفية التي رأينا بعضها سابقا، وإلى جانب مهارة التقويم يعلمنا الحجاج مهارة التحليل ومهارة الاستدلال ومهارة التأويل ومهارة التفسير ومهارة التشارح ومهارة الصحيح الذاتي.

6.البعد النقدي في الحجاج الأفلاطوني والسفسطائي

لقد أشرنا سابقا إلى كيف يعتبر أفلاطون وتلميذه أرسطو من الأوائل اللذين أكّدوا ومنذ البداية أن الحجاج ممارسة لفظية اجتماعية عقلية تهدف إلى تقديم نقد معقول للرأي المعروض وليس االإقناع مهما كان، ولذلك وظّفه ضد المغالطات اللفظية أو الاستدلالية التي مارسها السوفسطائيون[68]، وعلى الذين ساروا على منوالهم من جمهورهم، لكونهم يخرقون شروط العقلانية التواصلية التداولية التي تحكمها أخلاقيات وتقنيات الحجاج والتي ذكرناها سابقا، ويحبون التمويه عن الحقيقة لأغراض كثيرة أشرنا إليها سابقا أيضا في عنصر المغالطات.

فلو عدنا إلى جميع مؤلفات أفلاطون في جميع محاوراته لوجدناه في أغلبها إعتمد أسلوب الحوار أو الجدل السقراطي كما يسمى عادة، محترما في ذلك أطوره كما سنرى لاحقا، لعرض الأفكار ومناقشتها بالدقّة والتحليل، مما يتطلب أثناء قراءتها الإنتباه، وقوّة الفهم وإستعمال الفكر، مستندا في ذلك إلى قصدين معرفيين هما:

قصد الاعتراض: على ما هو سائد وما يروج له السوفساطائيون من أراء وإدعاءات، ولهذا نجد سقراط وهو أحد الشخصيات المهمّة في محاورات أفلاطون يطالب المحاورين بتقديم أدلّة على أقوالهم، مستثمرا في الأسئلة التي يطرحها والتي يطرحها المخاطَب راغبا من ذلك إيقاظ الفكر وتحريك الذهن.

والقصد الثاني **إقامة الدليل**: على ما يصدر عنه من أراء، وبمقتضى ذلك دائما كان الحجاج أو الحوار عنده نشاط عقلي تفاعلي، ويتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية ومتواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها، ويظهر ذلك جليّا في محاورات الجمهوريّة والدفاع وتيماوس وفيدروس وفيدون وجورجياس... وفي أغلب محاوراته الخمسة والثلاثين بشهادة

المهتمين والدارسين له.

وهو دائما ما ينطلق أي أفلاطون في هذه المحاورات بالتأكيد على وجود مسائل تقتضي المناقشة والتحاور مع المخاصم الذي وقع معه الخلاف، وهو حوار يقوم على المساءلة وطرح الفرضيات أو الأطروحات على طاولة البرهنة، فهو مثلا في محاورته 'جورجياس' وهو أهم وأشهر السوفسطائيين القدمى والذي كان الأثينيين منبهرين ببلاغته ومقدرته الفائقة على الإقناع والتأثير لفصاحته وقدرته الخطابيّة والجدليّة الفائقة، وهو فيما يُنْقَل عنه كان ماهرا في تحويل صور الأشياء، قادرا على تعظيم الصّغير حتى يعظم وتصغير العظيم حتى يصغر، وإخراج المحمود مخرج المذموم، والمذموم مخرج المحمود[69]، والتي تكون ردّا قويا على من سماهم افلاطون "بأصحاب الدعوى" وهم الذين زجّوا بأستاذه العظيم سقراط في السجن، وكيف راح يتناول بعض أولئك السفسطائيين بالسخريّة والتصوير (بولوس، كالكليس، جورجياس...)، فهو لم يكن - أي افلاطون - مقتنعا بأطروحاتهم ولا قابلا لمسلكهم إلى المعرفة ولا طرائقهم في الإقناع والتأثير لهذا ينتقدهم ويدحض أراءهم، مدافعا على بعض المبادئ التي يؤمن بها منها مثلا أن "الظلم أفدح الشرور" وإرتكابه أفدح من إحتماله"[70].

إن أفلاطون في محاورة 'جورجياس' نجده أولا يحلل موضوع البيان أو الخطابة في ضوء المقابلة بين العلم Science والإعتقاد أو الظنOpinion ، مؤكدا أن الاقناع نوعان، إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الإعتقاد، وهذا الثاني هو موضوع الخطابة السفسطائية، ويؤكد أن الإقناع المعتمد على العلم مفيد، فبه يكتسب الانسان معرفة، أما الإعتقاد فلقيامه على الممكن Probable والمحتمل Vraisemblable كان الاقناع المعتمد عليه غير مفيد حسب أفلاطون فهو لا يُكسب الانسان معرفة بل يُنشئ لديه اعتقادا Croyance.

وليبيّن ذلك ينطلق أفلاطون أولا في هذه المحاورة على لسان سقراط من ضرورة تحديد موضوع المناقشة من خلال طرح الأسئلة الدقيقة لتحديد إسم الفن الذي يمتهنه خصمه جورجياس، سائلا بولوس:

-...ما هو فن جورجياس؟، واي الأسماء يجب أن نطلقها عليه؟، أو قل لنا بالأحرى أنت ياجورجياس أي الفنون تمارس، وماذا ينبغي أن نسميك تبعا لذلك؟.

-وإذن يجب ان نسميك خطيبا؟.

-وسنقول علاوة على ذلك أنك قادر على إعداد تلاميذ على غرارك؟.....[71].

إن الحجاج الصحيح عند أفلاطون كما تبيّنه لنا هذه المحاورة لا بدّ أن يقام على الحوار والمناقشة بين متحاورين، وبتحديد موضوع المناقشة بالدقّة، ويتم تحديد مضامينها عن طريق الأسئلة والأجوبة التي تسيّر المحاورة، وسقراط كأهم محرّك للمحاورة نجده لا يطرح أسئلة عديدة بل يصوغ سؤالا واحدا ويجزئه على مراحل يجعله في شكل مقدمات متتاليّة، متوسلا مجموعة من القضايا المترابطة، ويدعمها بأمثلة قويّة ملزمة تبدّد شك المحاور، ثم يستخلص منها نتيجة أو نتائج لا يجد الخصم الموافق على المقدمات بدا من يسلّم بالنتيجة والتي كثيرا ما تخالف وتناقض الرأي الذي إنطلق منه، فهو حوار تعرض فيه وجهات النظّر أي الحجج مصحوبة بالأدلّة مقدما موقفه الفردي والتقويمي بخصوص القضيّة، ثم يكون استبصار الحقيقة في ضوء ما يوجّه من انتقادات وما يستوضح من تغليط أو تقصير، وبتعريف المسائل التي يعالجها وضبط خصائصها ومقوماتها، وبإجراء مقارنات بين أجناس الأقاويل الهادفة إلى التوضيح والإقناع إذ بضدّها تتميّز الأشياء، لكن غايته من كل ذلك هو معرفة الحقيقة والتوصّل إليها بعيدا عن الأغراض والمنفعة الشخصيّة.

ولذلك وخلال المناقشة والحوار مع جورجياس حول حقيقة هذا الفن الذي يمتهنه، يقف سقراط ويستذكره أولا كيف يجب أن يكون الحوار فيقول قائلا " أظن يا جورجياس انك حضرت مثلي مناقشات عديدة، ولا بدّ أنك لاحظت فيها كم من النادر أن يبدأ الخصمان بتحديد مضبوط لموضوع محاورتهما، ثم ينصرفان بعد أن يكون كل منهما قد تعلم من الآخر واستفاد، وبدلا من ذلك إذا كان مختلفين ويجد أحدهما أن الآخر مخطئ أو ليس واضح الأقوال، فإنهما يسخطان ويتهم كل منهما خصمه بسوء القصد، وتصبح مناقشتهما خصاما أكثر منها فحصا للموضوع، بل إن بعضهم قد ينتهي بالإفتراق على نحو قبيح، بعد تبادل شتائم إلى درجة أن الحاضرين يسخطون على أنفسهم لأنهم زجوا بها في مثل ذلك الموضوع"[72].

فاقتراح أفلاطون على لسان أستاذه سقراط طريقة المحاورة أو الحجاج الصحيح على خصمه يبيّن لنا رفضه لطريقة السوفسطائيين في المحاورة والمحاججة، فهي محاورة ومحاججة لا يمكن أن تنتهي إلى نتيجة ترضي الطرفين مادام ليس هناك حوار موضوعي، يراعي ضوابط الحوار وقواعده الفنيّة، ويسير بلا هدف مرسوم أو غاية معلومة، ولهذا يؤكد أفلاطون ضرورة ضبط المتحاوران موضوع محاورتهما بكل دقّة، وضرورة الإلتزام بجملة من الضوابط العلميّة، والأخلاقيّة من قبيل التكلّم بالدقّة والوضوح، وضرب الأمثلة لمساعدة خصمه على تحديد موضوع فنّه ولإستدراجه إلى أجوبة تترتّب عليها اسئلة جديدة، والإعتماد على العقل في عرض الحجّة والإعتراض عليها، واحترام شخص المحاور بوصفه شريكا في المعرفة ينير غيره ويستنير به، يتعلّم منه ويستفيد ويعلّمه ويفيده في الآن نفسه، ولكن في كل ذلك الغاية في النهاية الوصول إلى إدراك الحقيقة واستكشاف الوجود الأمثل وذلك بنور العقل وحده، فيقول مرّة أخرى على لسان سقراط محاورا جورجياس:

سقراط: حسن وما دمت تمتلك ناصيّة البيان كما تقول، ومادمت قادرا على إعداد خطباء، فأخبرني ما عسى أن يكون

موضوع هذا البيان، أن فن النسيج مثلا يتعلق بصنع الأقمشة أليس ذلك صحيحا؟.

جورجياس: نعم.

سقراط: وتتعلق الموسيقا بتأليف الألحان؟.

جورجياس: بلى.

سقراط: ....فأخبرني إذن على النحو نفسه فيما يتعلق بالبيان، ما موضوع ذلك العلم؟.....[73].

ويواصل سقراط وبطريقته المعهودة وهي التهكم يحاول أن يبرز إفتقار إجابات جورجياس للدقة والوضوح، مستندا إلى مجموعة من الفنون والعلوم، ومن ثمّة حثّه على مواصلة التفكير وتحليل الموضوع، واستدراجه إلى اللحظة التي يكتشف خطأه بنفسه، وهو ما يعني أن خصمه يمارس فنّا لا يدرك موضوعه:

سقراط: لست أدري إن كنت قد فهمت الصفة التي تصف بها البيان، والتي تجعلك تسمى هذا الفن بالخطابة، ولكن لعلني أدرك ذلك إدراكا أوضح فأجبني، أليس صحيحا أن لدينا مجموعة من الفنون؟

جورجياس: بلى

سقراط: وبعض الفنون يخص العمل بالنصيب الأول، ولا يدع للكلام غير مكانة ثانويّة، بل وبعضها لا يدع له أي مكان.....؟[74].

وهكذا وفي كل مرّة نجد سقراط يدحض التعاريف التي يقدمها جورجياس لتحديد حقيقة الفن الذي يمتهنه، باستدعاء ضروب من الفنون والمقارنة بعضها ببعض، حتى ينتهي إلى أن يبيّن له في النهاية كما قلنا سابقا أن الإقناع في البيان لا يستند إلى العلم ولا يعوّل عليه، وإنّما مجاله الظنيّ والممكن والمحتمل، ولينتهي في النهاية التشكيك في منزلة هذا الفنّ لعدوله عن العدل والإنصاف:

سقراط: "إنني عندما شاهدتك تتكلم على هذا النحو خيّل إليّ أن البيان لا يمكن أن يكون أبدا شيئا ظالما مادام لا يهتم إلاّ بالعدل، ولكن عندما قلت لي بعد ذلك بقليل أن الخطيب يستطيع أيضا أن يستعمل فنه استعمالا ظالما أصابتني الدهشة وحكمت بأن هذه القضايا متناقضة..."[75].

فالتدليل عند أفلاطون وأستاذه سقراط إنما يقوم على إعتماد آليات محددة وإنتهاج مسالك معينة بغية الوصول إلى الهدف المتمثل في إفهام وإقناع المخاطب بصدق الحجة ثم العمل بمقتضياتها، وفق ضوابط مضبوطة ومستلزمات مشروعة وبالتالي لا يزيغ أحدهما (المتكلم والمخاطب) أو كلاهما عن الغاية من الحوار، ولكي لا يحدث هناك إتباع مسالك تدليلية تضليلية وتمويهية تعود إلى الصورة أو المضمون أو هما معا أو الاستهواء أو الاستمالة والاستدراج وغيرها من السلوكيات التي تترك جانب الحجة المقنعة، لتعمد إلى طرق غير مشروعة تنبني على جمال الأسلوب والمراوغة في الكلام، فيكون التضليل ناتج إما عن مضمون الأقوال بحيث يقدمها المغالط على أنها صادقة لكن الأمر ليس كذلك حقيقة، وقد يعود إلى طريقة التدليل على الدعوى فيوهمنا بأنه إلتزم بطرق تدليلية منطقية صارمة ودقيقة، في حين أن الأمر كذلك ظاهريا فقط وليس حقيقة.

ولهذا يقول أفلاطون في كتاب الجمهوريّة أيضا عن الجدل أو الحوار الجدلي والغاية منه "إن علم الجدل وحده يذهب مباشرة إلى السبب الأول وهو العلم الوحيد الذي يلغي الفرضيّات كي يجعل أساسه متينا، إن العين الرّوحيّة التي دُفنت حقيقةً في أرض موحلة غريبة ترتفع إلى أعلى بمساعدته اللّطيفة، وفي هذا العمل تستخدم العلوم التي كنّا باحثين فيها كمساعدين ووصفاء، لقد استعملنا غالبا الإسم المألوف للعلوم، غير أنّها يجب أن تمتلك اسما آخر أكثر وضوحا من الرأي وأقلّ وضوحا من العلم وهذا ماسميناه فهما في تخطيطنا المتقدّم"[76]، فبأسلوبه الحواري وبجملة التشبيهات التي اعتمدها أفلاطون كما يظهر لنا هنا يحاول أن يكشف عن الحقيقة التي كما يشبهها "بالعين الرّوحيّة التي دفنت في أرض موحلة غريبة"، فهو على خلاف السوفسطائيين الذين غايتهم من ممارستهم الجدل نشدان الظّفر والإنتصار دون الإلتزام بضوابط الحوار، ولذلك فهم غير مؤتمنين على الحقيقة لأنه لم يقصدوا إليها ولم ينهج سبيلها.

لقد أراد أفلاطون بنقده ومحاججة للخطابة السفسطائيين أن يبيّن بذلك أن الحجاج السفسطائي لا يحرر فكر الإنسان ولا يحقق له ما به خير، مؤكد على البعد النقدي في الحجاج بما هو "قول صانع للإنسان والمجتمع"[77]، وأن الجمال ليس في العناية بالشكل مثلما يفعل السوفسطائيون ولكن الجمال عنده مداره هو نشدان الحقيقة والفضيلة وتلازم اللغة والفكر.

فمع أفلاطون إذن لم يعد المرء يقتصر على الاستماع ليتعلم ويتصل بالحقيقة فقط، بل عليه أن يفسر الكلام ويؤوله وينسقه ويميز فيه الحقيقة عن الباطل، فيقول على لسان سقراط منتقدا جورجياس أيضا: "إنني من بين أولئك الذين يسرهم أن يُدْحَضوا عندما يخطئون، وأن يَدْحَضوا بدورهم حجة غير مضبوطة، ولكنهم لا يحبون أن يدحضهم غيرهم بدرجة أقل مما يحبون أن يدحضوهم غيرهم"[78]، ولقد اعتمد في نقده للسفسطائيين على استراتيجية واحدة هي استراتيجية الكشف (نزع القناع) بمجادلتهم تارة ودرس أنموذج من نصوصهم طورا، لأنه رأى أن مقارعته لهم تعدّ على نحو معيّن كشفا للقناع عن اغاليطهم ومزاعمهم وتلاعباتهم اللغويّة.

فتصدى لهم بشكل حاسم وعمل على كسر مذهبهم وإعتقاداتهم إما بصورة صريحة مباشرة أو ضمنية غير مباشرة، وتجلى ذلك كما قلنا في محاوراته التي عادة كما رأينا أين يتقابل فيها سقراط كممثل للعقل والحكمة واليقين، في مواجهة اللاعقل والوهم ونسبية الحقيقة التي يحمل لواءها السوفسطائيون (جورجياس، بولوس، كاليكليس.....)، وقد

حمل على مذهب هؤلاء في كثير من محاوراته، وكرّس جلها لإعادة النظر فيما يتداوله الجمهور السفسطائي من مفاهيم وإعادة بنائها من جديد (كمحاورة مينون التي حدد من خلالها مفهوم الفضيلة، ومحاورة تياتيتوس التي خصصها للنظر في مفهوم العلم، ومحاورة كراتيلوس التي كان موضوعها هو اللغة، كما أفرد في مواجهة الممارسات الحجاجية للسفسطائيين إلى جانب محاورة جورجياس محاورة فيدون حيث نقد البلاغة السفسطائية بصورة عامة، وانتقد منهجهم في التربية الذي يقوم على أسلوب باطل يخاطب في الإنسان قوته الشهوانية بدل القوة العاقلة، ثم عمل بأدواته النقدية في المظاهر المعيبة لأساليبهم وطرقهم في استمالة الجمهور.... فإذا كان السوفسطائي يستعمل الخطابة لكسب القضية بتحريك الانفعالات بالأساس أو لقول التملّق، أما أفلاطون فما يهمه هو تحقيق الفضيلة للنفس.

فكل محاورة من محاوراته إلا وكانت تعالج مفهوما من المفاهيم ونفض الفهم السفسطائي عنه، "بطريقة يصبح معها بالإمكان التمييز بين الصدق والكذب في نظره، وغايته القصوى من كل ذلك استدعاء لغة فلسفية صارمة، تسمح بالإنتقال من الكثرة المحسوسة إلى الوحدة المجردة، بالبرهان تحقيقا للصدق ووصولا للحقيقة، منتشلا بذلك مواطنيه من المغالطات السفسطائية"[79]، كما نجده في مقاربته للحجاج المغالط وفي كل محاوراته يقابل الهدم بالبناء يعوض مضمونا بمضمون، ويستبدل حجاجا بحجاج، ليجعل الحجاج الفلسفي ممارسة فعلية وميدانية حتي يضيق الخناق على الحجاج المغالط.

إن الشكل الحجاجي البديل الذي أراده افلاطون هو ذلك الذي يرقى إلى مستوى الحوار الثنائي بين المختصين في الموضوع المطروح للمناقشة وحيث الحكم على رجاحة رأي على آخر يستند إلى المعرفة القابلة للدحض في كل لحظة وليس إلى حجج السلطة، ولذلك رأى أن الحجاج السوفسطائي خطر على القول والانسان، ومن ثم سيناصب لهم العداء ويرى ضرورة إيقافهم عبر نقدهم والتشدد الأخلاقي والعقلي إزاءهم.

لقد كان البعد النقدي حاضر في مشروع أفلاطون كله، ويظهر كما قلنا سابقا في معالم تصوره لصناعة الخطابة، وهو تصور بناه على ثلاثة اركان: هي اعتماد المنهج الجدلي، ومعرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقاويل، ومعرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب، وإن كان قد أُنتِقد هذا الحجاج الأفلاطوني على أنه حجاج أخلاقي ميثالي لا يخدم التطورات الإنسانيّة المتلاحقة، ولكن بالمقابل قد مكنت القدرة الجدلية الهائلة التي إمتلكها أفلاطون في استكشاف المصدر الذي تستمد منه العلوم معقوليتها، والذي استخدمه ضد البلاغة السوفسطائية، فكان مسعاه في النهاية الإنصرف إلى التعليم والنقد والنقاش وكيفية تنظيم حجج ضد حجج أخرى.

لقد آمن بوجود منهج كلي في الإثبات والإبطال، والذي إكتشفه هو وهو 'الجدل'، الشيء الذي جعله يقف عند عتبة مضامين البنية الحجاجية وإن كان دون تجاوزها إلى الصور الذهنية التي تؤطر هذه البنية، واستخراج آلياتها ومبانيها، في انتظار مجيء صاحب الأرغانون أرسطو الذي سيعتني لاحقا أيما عناية بهذه المباني، مخرجا آليات الحجاج من الكمون إلى الظهور والتجلي، أو بلغته من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، والذي طوره في كتابه "فن الخطابة والجدل" ومنطقه بصفة عامة (العبارات والتحليلات الأولى)، ومن الطبيعي جدا أن لا تكون هذه الآليات سابقة في الوجود عن الحجاج بل يجب أن تكون تابعة له...ليشكل مجيء أرسطو بذلك لحظة حاسمة ونقطة تحول كبرى في تطور المشروع السقراطي الأفلاطوني وتناميه، ذلك أنه عمل فيه على الارتقاء من مستوى النظر في الحجاج إلى مستوى التنظير له، بغية الحسم نهائيا مع الحجاج السفسطائي وإخراجه من دائرة القول العلمي اليقيني[80].

ولذلك أراد ارسطو كما فعلها قبله سقراط وأفلاطون في مناهضة هذا الزعم والتصّدي له بالأدوات نفسها، أراد "ان يفتح ستارة الوعي لأولئك الذين يريدون التسلل إلى عالم الحجاج من نوافذه وكُواه الصغيرة والكبيرة، وذلك من خلال عزمه على تأسيس جملة من القواعد والمبادئ التكوينيّة على أرض صلبة، لتكون حصانة للمتعلمين في سلك التكوين الحجاجي"[81].

واليوم إذا كان مع بيرلمان ولد توجه جديد يروم جعل البلاغة علما مستقبليا، وتشييد خطابة (بلاغة) جديدة، فغايته أيضا هو تخليص الحجاج من التهمة اللاصقة به وهي المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا ودفعه دفعا إلى القبول باعتباطية الأحكام ولا معقوليتها، وفي الوقت نفسه تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستيلاب...، وأهمية الحجاج مع بيرلمان لن يبتعد كثيرا عن الأهميّة التي حددها أفلاطون وأرسطو وهي أن المتلقي لا يجب أن يكون سلبيا، بل عليه أن يكون فاعلا، وبذلك يكون الحجاج وفاقا وتشاركا وحوار ، لهذا يؤكد بيرلمان إن "الحجاج في النهاية ليس سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والاصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الاجتماعيّة في الحسبان وإلاّ فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير"[82].

7. الخاتمة

وبهذا كان مسار الحجاج والخطابة عامة من كونهما قائمتين على التأثير والتحريض والتملق إلى كونهما عمليتين برهانيتين عقليتين، فالحجاج عملية نقديّة وهو إحساس يدعم انخراط المتلقين في الحجاج المقدّم ودعمهم له، إضافة إلى ذلك ومما يلزم أن يكون المحاجج ناقدا دقيقا لا بد أن يؤسس لحواره على الإحترام والحقيقة البعيدة عن القسر والاحتيال، ويدخل في الاحترام إشراك المخاطب في الحجاج عن طريق وضوح الأدلة، والبعد عن التناقض واحترام المسلمات الخاصة

به، والبعد عن التركيز على الأمور والقضايا التي يُبنى فيها الحجاج على أمور حدسيّة، لأنه بدون كل ذلك يصعب توصيل المضمون الحجاجي إلى المخاطب، ومن أهم اهداف وخطوات الحجاجيّة كذلك على المحاجج تنشيط خياله والدفع إلى التفكير لأجل الفهم، ولهذا لم تكن الممارسة الحجاجيّة عند أفلاطون أو أرسطو وحتى عند صناع الخطاب في التراث الغربي أو العربي أداة للإشتغال بالمنازعة المقصودة لذاتها، وإنّما كانت وسيلة من وسائل تنميّة المعرفة الصحيحة وممارسة العقل السليم.

وقصارى القول على ماسبق إن الحجاج وإن يعد من جنس التفكير الجدلي ولكنه أيضا لا يمنع أن نراه من جهة أخرى انطلاقا مما رأيناه سابقا أن يكون الحجاج طريقة من التحليل والتعليل يستخدم فيه المنطق للتأثير في الآخرين، إنه اسلوب نقدي له ميزاته ومن هنا يتسع تصورنا عن الحجاج على مدى أرحب من ذلك التصور الضيق الذي رسم في أذهاننا عند أولى عتبات الحديث عن مفهوم الحجاج، ولهذا في النهاية الحجاج الجدلي إختبار قول كما بين أرسطو نافع في مجالين إثنين: مجال البحث الفكري ومجال تغيير الاعتقاد، وواضح كذلك أن الحجاج الجدلي خاصة ليس يدا عمياء تعبث بعيدا عن وعي الفكر وتوجيه العقل، إنه عامل بناء وليس أداة هدم للحياة النظرية والعملية على السواء ترفض الحجج العرجاء التي لا وزن لها بوجهيه السلبي السفسطة والإيجابي النقدي، وأجود الحجج ما احتوى أكبر قدر من الوضوح والدقة مما يسمح به الموضوع، والفلسفة تستخدم تقنيات الحجاج لتعرض نظرة معقولة عن الإنسان في علاقاته مع المجتمع والكون، دون ردها إلى النظرة التي نعتقد فيها الرجحان أكثر من غيرها لذاك فكل فلسفة أصيلة هي نتاج الحرية.

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

8 . الهوامش

1 - عمارة ناصر، 2009، الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجيّة للخطاب الفلسفي، الجزائر، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، ط1، ص127.

2- الحبيب أعراب، سبتمبر 2001، الحجاج والاستدلال الحجاجين، عناصر إستقصاء نظري، عالم الفكر، مج 30، ع1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب الكويت ،ص115-116.

3 -نقلا عن فريد لمريني، 2016، الفلسفة والنقد مراصد إبستمولوجية، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، ص 15.

4- Lionel Bellenger, 1978, Les techniques d'argumentation et de négociation, paris, Entreprise moderne d'édition, p15.

5 -حمو النقاري، 2010، حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه مفهوم الموضع، ضمن حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجلاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة،ج3، الأردن، عالم الكتب، ص 2.

6- عبد الله صولة، 1989، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال 'مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة' لبرلمان وتيتيكان، ضمن أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، تونس، المجلد XXXIX، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ،ص 301.

7- أفلاطون، 1970، محاورة جورجياس، تر عن الفرنسيّة محمد حسن ظاظا، راجعها عيى سامي النشار، مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ص ص -43 46.

8- عمارة ناصر، المرجع السابق، ص86.

9- طه عبد الرحمن، 1998، اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ، الدار البضاء، المركز الثقافي العربي، ص137.

10- أبو بكر العزاوي، 2010، الخطاب والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، ص19.

11- الحبيب أعراب، 2010، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ضمن حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجلاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج3، الأردن، عالم الكتب، ص45.

12- أفلاطون، محاورة جورجياس، المرجع السابق، ص25.

13- ابن منظور، 1997، لسان العرب، مادة (ح،ج،ج)، لبنان، دار صادر بيروت، ط1، مج3، ص228..

14- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ج، د،ل)، مج1، ص419.

15- Le Robert, 2005, dictionnaire de francais, paris,(éd) Martyn Back et Silke Zimmenmann, p23.

16- فيليب بوطون، 2013، الحجاج في التواصل، تر محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ط1، ص18.

17- أرسطو، الخطابة، 1980، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، لبنان، دار القلم، وكالة المطبوعات، ص3 وما بعدها.

18- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ص121.

19- أرسطو، الخطابة، صص 3_4.

20- Perelman .Ch & Tyteca.O, 1992, Traité de l'argumentation, La nouvelle rhétorique, préface de Michel Meyer,5eéd, de l'université de Bruxelles, .p635.

21- Ibid , p72.

22- Ibid, p5 .

23- france h eemeren & Rob Grootendorst, 2004, a systematic theory of argumentation, Cambridge University Press, 1st published, p1.

24- حافظ اسماعيل ومحمد أسيداه، اللسانيات والحجاج: الحجاج المغالط نحو مقاربة لسانية وظيفية، ضمن حافظ اسماعيل علوي، ج3، الحجاج وحوار التخصصات ، ص272.

25- محمد أسيداه، السوفسطائية وسلطان القول نحو أصول لسانيات سوء النية، ضمن حافظ اسماعيل علوي، مدارس وأعلام، ج2، ص55.

26- أبو بكر العزاوي،2006، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة ، ط1، ص57.

27- F.H.Van Eemmeren and R.Grootendorst, 2003, Systematic theory of argumentation, Cambridge University Press, p1 .

28- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، 2008، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، طرابلس ، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ص230.

29- روبير بلانشي، 1973، الاستدلال، تر محمود اليعقوبي، الجزائر، دار الكتب الحديث، ص287-298.

30- بناصر البعزّتي، 2006، الصلة بين التمثيل والاستنباط، تنسيق حمو النقاري، التحاجج طبيعته مجالاته وظائفه وضوابطه، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، ص26.

31- عمارة ناصر، المرجع السابق،84.

32- حسان الباهي، 2000، اللغة والمنطق بحث في المفارقات، الرباط، دار الأمان للنشر، ط1، ص 72...

33- بناصر البعزّتي، المرجع السابق، ص34-35.

34- هشام الريفي، المرجع السابق الغربيّة ، ص77.

35- أفلاطون، محاورة جورجياس، المرجع السابق، ص36 45-.

36- أرسطو، الخطابة، ص ص 22-23.

37- روبير بلانشي، المرجع السابق، ص ص301- 302.

38- حميد اعبيدة، الحجاج في الفلسفة وتدريسها، ضمن حافظ اسماعيل علوي، ج3، ص 98.

39- حميد اعبيدة، الحجاج في الفلسفة وفي تدريسها، حافظ اسماعيل علوي، الحجاج وحوار التخصصات، ج3، ص 88.

40- طه عبد الرحمن، 2000، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ، ط2، ص ص 161-162.

41- جيل دولوز و فليكس غتّاري، 1997، ما هي الفلسفة، تر ومراجعة وتقديم مطاع صفدي، مركز الانماء القومي، المركز الثقافي العربي، اليونيسكو، ط1، ص ص 31--30.

42- Perelman .Ch & Tyteca.O. Traité de M'argumentation. p9.

43- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع السابق، 56.

44- Perelman .Ch & Tyteca.O. Traité de M'argumentation . p89.

45- للتفصيل فيها نعود إلى محمد بن سعد الدكان، 2014، الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، بيرت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1 ، ص ص 168-218.

46- نعود إلى عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج، ضمن حافظ اسماعيل علوي، ص 79.

47- عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجيّة للخطاب الفلسفي، ص ص89_90.

48- محمد بن سعد الدكان، المرجع السابق، ص39.

49- بيار مالك، 2016، الفلسفة وتعليمها، لبنان، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ص162.

50- Oléron Pierre. 1993. L'argumentation. Paris. PUF. que sais-je ?.n° 2087. p18.

51- أرسطو، الخطابة، صص -3 9.

52- فيليب بوطون، المرجع السابق، ص 45.

53- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع السابق، ص120.

54- عليوي أباسيدي، التواصل والحجاج في التداوليات الحجاجية للحوار (التفكير) النقدي نموذج المدرسة الهولندية-إيمرين وغروتندورست، ج2، ضمن اسماعي حافظ علوي، ص262.

55- عبد اللطيف عادل، 2013، بلاغة الإقناع في المناظرة، بيروت، دار الأمان، ط1 ، ص84.

56- رشيد الراضي، المرجع السابق ، ص ص 227-228 .

57- رشيد الراضي، المرجع السابق، ص ص 228 - 229 .

58- Perelman .Ch & Tyteca.O. Ibid. p25.

59- طه عبد الرحمن، 2000، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، ص20.

60- Meyer Michel. 1993.Questions de Rhétorique langage raison et séduction. Paris. le livre de poche . p143.

61- Meyer Michel. 1982 .Logique Langage et argumentation. Paris. Hachette. p120.

62- محمد أسيداه، اللغة والمنطق والحجاج، ضمن حافظ اسماعيل علوي، ج5، ص 26.

63- O.Ducrot & Anscombre. 1997 . L'argumentation dans la langue. pierre Mardaga. Editeurs Bruxelles. 3édition. p8.

64- ابو بكر العزاوي، 2006 ، اللغة والحجاج ، الدار البيضاء ، دار الأحمدية، ط1، ص126.

65- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع السابق،ص35-36.

66- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص255.

67- محمد النويري، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، ضمن أهم نظريات الحجاج منذ أرسطو...، ص 412.

68- يعرف السوفسطائي بأنه الرجل المثقف الذي لديه معارف في كل الفروع، ولقد اقترنت السفسطة عموما، بالتركيز على المهارات التطبيقيّة المرتبطة أساسا بفن الإقناع.

69- للإستفاضة نعود إلى كتاب مصطفى النشار(2005)، تاريخ الفلسفة اليونانيّة من منظور شرقي، القاهرة، الدار المصريّة اللبنانيّة، ط1، ص69.

70- أفلاطون، محاورة جورجياس، ص7.

71- المصدر نفسه، ص 34.

72- المصدر نفسه، ص 47.

73- المصدر نفسه، ص35.

74- المصدر نفسه، ص 37.

75- المصدر نفسه، ص52.

76- أفلاطون (1994)، المحاورات الكاملة، تر شوقي داود تمراز، بيروت، الأهليّة للنشر والتوزيع، الكتاب السابع، ص 347.

77- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر،ص29.

78- افلاطون، محاورة جورجياس، ص48.

79- عبد الجبار أبو بكر، الحجاج الفلسفي وإشكالية المشترك اللفظي، ج3، اسماعيل حافظ علوي، ص 109.

80- عبد الجبار أبو بكر، الحجاج الفلسفي وإشكالية المشترك اللفظي، ج3، اسماعيل حافظ علوي، ص 110.

81- محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، ص52.

82- Perelman .Ch & Tyteca.O. Traité de M'argumentation.p18.

9 . المصادر والمراجع باللغة العربيّة

1- ابو بكر العزاوي، 2006 ، اللغة والحجاج ، الدار البيضاء ، دار الأحمدية، ط1.

2- أرسطو، الخطابة، 1980، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، لبنان، دار القلم، وكالة المطبوعات.

3- بيار مالك، 2016، الفلسفة وتعليمها، لبنان، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

4- جيل دولوز و فليكس غتّاري، 1997، ما هي الفلسفة، تر ومراجعة وتقديم مطاع صفدي، مركز الانماء القومي، المركز الثقافي العربي، اليونيسكو، ط1.

5- حافظ اسماعيل علوي، 2010، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج1 و2 و3 و4 و5، الاردن، عالم الكتب الحديث.

6- حسان الباهي، 2000، اللغة والمنطق بحث في المفارقات، الرباط، دار الأمان للنشر، ط1.

7- عبد اللطيف عادل، 2013، بلاغة الإقناع في المناظرة، بيروت، دار الأمان، ط1.

8- عبد الله صولة، 1989، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال 'مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة' لبرلمان وتيتيكان، ضمن أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، تونس، المجلد XXXIX، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية.

9- عمارة ناصر، 2009، الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجيّة للخطاب الفلسفي، الجزائر، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الإختلاف، ط1.

10- فريد لمريني، 2016، الفلسفة والنقد مراصد إبستمولوجية، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1.

11- فيليب بوطون، 2013، الحجاج في التواصل، تر محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ط1.

12- محمد بن سعد الدكان، 2014، الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، بيرت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1.

13- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، 2008، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، طرابلس ، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.

14- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم.

15- ابن منظور، 1997، لسان العرب، مادة (ح،ج،ج)، لبنان، دار صادر بيروت، ط1، مج3.

16- أبو بكر العزاوي، 2010، الخطاب والحجاج، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1.

17- أبو بكر العزاوي،2006، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 134، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1.

18- أفلاطون، 1970، محاورة جورجياس، تر عن الفرنسيّة محمد حسن ظاظا، راجعها عيى سامي النشار، مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف.

19- الحبيب أعراب، 2010، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ضمن حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجلاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج3، الأردن، عالم الكتب.

20- الحبيب أعراب، سبتمبر 2001، الحجاج والاستدلال الحجاجين، عناصر إستقصاء نظري، عالم الفكر، مج 30، ع1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب الكويت.

21- بناصر البعزّتي، 2006، الصلة بين التمثيل والاستنباط، تنسيق حمو النقاري، التحاجج طبيعته مجالاته وظائفه وضوابطه، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1.

22- حمو النقاري، 2010، حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه مفهوم الموضع، ضمن حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجلاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة،ج3، الأردن، عالم الكتب.

23- روبير بلانشي، 1973، الاستدلال، تر محمود اليعقوبي، الجزائر، دار الكتب الحديث.

24- طه عبد الرحمن، 1998، اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ، الدار البضاء، المركز الثقافي العربي.

25- طه عبد الرحمن، 2000، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ، ط2.

26- طه عبد الرحمن، 2000، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبيّة

1. france h eemeren & Rob Grootendorst, 2004, a systematic theory of argumentation, Cambridge University Press, 1st published..

2. G.G.Granger, 1987, pour la connaissance philosophique, Paris, Odile jacob.

3. Le Robert, 2005, dictionnaire de francais,(éd) Martyn Back et Silke Zimmenmann, paris..

4. Meyer.Michel, 1982, Logique,langage et argumention,paris , Hachette.

5. O.Ducrot & Anscombre, 1997, L'argumentation dans la langue, pierre Mardaga, Editeurs Bruxelles, 3édition..

6. Oléron Pierre, 1993, L'argumentation, Paris, PUF, que sais-je ?,n° 2087.

7. Van Eemmeren .F.H,and Grootendorst. R, 2003, Systematic theory of argumentation, the pragma-dialectical approach, Cambridge University Press.

8. -Oswald Ducrot, 1989, les échelles argumentatives, Paris, éditions de Minuit.

9. -Perelman .Ch & Tyteca.O, 1992,Traité de M'argumentation La nouvelle rhétorique, préface de Michel Meyer,5eéd, de l'université de Bruxelles,

10. -Perelman. Ch, 1977, L'empire rhétorique rhétorique et argumentation, Paris ; éd Librairie philosophique, J.Vrin.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

المؤلف هارون غنيمة، (2020)، البعد النقدي في الخطاب الحجاجي الفلسفي، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات. ص ص : 280-299